على أعتاب الذاكرة

(حجاج بني حرب)

عبادة ناصر حروب

٢٠٢٠

المقدمة

الحمد لله حمداً كثيرا كما أمر و نشكره وهو الذي
وعد المزيد لمن شكر ، و أشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله صلى
الله عليك يا سيدي يا رسول الله كلما رفت عين
بنظر أو سمعت أذن بخبر.
سلامي عليك يا شفيعي كلما هبت النسائم وناحت
على الأيك الحمائم.
أما بعد. ......
إني أضع بعون الله بين أيديكم روايتي الأولى
وخطوة البداية في هذا المجا ل.
يا من ستقرأ روايتي هذه ستجد فيها الخطأ فإنه من
نفسي فاستره علي وستجد فيها الصواب إنه من الله.
لا تدع الملل يتمالكك في بدايتها لأنكَ إن وصلتَ لمنتصفها فأعدك أنكَ لن تتركها
حتى تنهيها .
"قل اعملوا فسيرى الله عملكم"
إنما عملي هذا خالصٌ لوجه الله

إلى أمين الأمة وشفيعها و أسوتي خير البشر

محمد صلى الله عليه وسلم

إلى معز الأمة ورافع شأنها ومعلي مقامها لمن حكم
بحلمه قبل درته فملأ الأرض عدلا ا، قدوتي في هذه
الدنيا وعلى سيرته سأسير إن وفقني الله

فاروق الأمة" **عمر بن الخطاب**"

وإلى الخلفاء الراشدين و سائر صحب رسول الله.
إلى من حذاءه أمام البيت قمة الأمان و صوته غاية
الاطمئنان من كلماته حكم لقمان وسيرته بين الناس
من طبع العدنان لأبي الذي ليس بنبي ولكن عليه
السلام

المحامي الكبير" **ناصر غازي حروب**"

إلى الملائكة المتشكلة على هيئة بشر إلى بحر من
العطف والحنان لن أكمل لأنني لم أجد كلمات تقبل أن تتشكل لتصفها وتنصِفها،
فجميع الحروف اعتذرتْ ..

لأمي المربية الفاضلة " **كفاح الراشد**"

لسندي في هذه الدنيا وعضدي على مصاعبها من
له بقلبي اكثر مما لي فيه

أخي" **محمد**"

لمن كن لي أمهات اكثر من اخوات لمن قلوبهن
تملأ الكون حنانا وعطفا

أخواتي " **ثراء ،إسراء ، رغد ،لجين**"

للمقربين لي أكثر من نفسي والداعمين ومن
شجعوني لأكمل المشوار

"**حمادة ، بديع ، نسيب**"

لأعز الناس على قلبي بعد أهلي إخوتي الذين
ولدتهم لي الحياة
"حسن ، عبادة ، عدي ، عمران ،عنان ، مؤيد
سليمان ،عبد المنعم ، عبد الرحمن ، حمزة ، محمد
زكريا ، أحمد، هيثم ،أسامة ....جميعكم في القلب
إن نسيت أحدكم
إلى أعدائي ومن انتقدني وحطم عزيمتي
إلى جميع من غاب عن ذكري
للشهداء ممن سبقونا
لوطني العزيز
لنفسي

بسم الله الرحمن الرحيم

بظهر حناه عناد السنين وقبعته التي أخذت طابع عشرينيات
إنكلترا ووشاح صوفي رمادي والسترة الطويلة السوداء ،
مسارات الحياة وضعت بصمتها على وجهه ، عكازه
الخشبي وعدسات طبية تخفي أسفلها سواداً كان لإرهاق
الحياة وقت كاف لتلوينه بأعوامها الستين ونيف
والحقيبة المرافقة التي تحتوي على بطاقته وعنوانه لكي
يعيده المارة لمنزله المجاور اذا كان الزهايمر قد اشتد
بوطأته المعتادة و أدويته الإسعافية وصندوقه الخشبي الذي
كان تكون من الزان وطعم بالسنديان وزركش باللازورد
تفوح رائحته العابقة منذ ما يتجاوز الأربعين ربيعا
على المقعد الخشبي المهترئ والبحر اللامتناهي أمامه
والشمس الحمراء الخافت شعاعها و صديقه وحيد بائع
الساخن يقابله
والذي نال من اسمه نصيب بعد وفاة عائلته إبان الحرب مع
الترك ، كل يوم كان يأتي ليسجل حضوره المعتاد على الرصيف
الأشهب هناك.
أحد الصباحات الفيروزية التي كان لقهوتها طعم مميز مع
صوت عصفور الدوري الذي يعده يوسف أحد أبنائه
الباقين الذي طالما حلم أن يقتني مثله في صغره وفي فناء
منزل امتلأ بالورد من كل أنواع في الدنيا ، لم يكن يحبه في
شبابه

كان يبتسم مستهتراً عندما يخبره والده في يوم ستكون
الورود ؛
تذكارك الوحيد للعبور على مشاق الحياة ولونها مبهج القلب
إنك الآن لن تدرك ما أقول حتى تمعن في الكهولة..........
لم يخطأْ قطٌّ في كلماته.........
لا تنظر للمعنى الآني للكلمة فكلماتهم تعني كل ما تتحمله من معاني فالزهور والأم والأخوة والأولاد والأصدقاء والزوجة والعشيقة كلها ورود نعم كان يقصد جملتهم وتفاصيل لم يسعفه العمر ليعرفها.
رغم مرور الثمانين عاماً على أغان فيروز إلا أن وقعها في نفسه يتجدد كل يوم ، فيها سحر صنعتها بشعوذة صوتها الملائكي الذي لم يقدر أي أحد تقليده، رونق حلياتها لم يتكرر.
كان يهجس لزوجته على فطورهم إني أرى شرائط الحياة تتكرر أمامي أظن ساعتي قد اقتربت......
تبسمت ؛
أجل فهو يخبرها بهذا كل يوم.
اعتادت على هذه الكلمات منذ أخذ النسيان يتسرب لتلافيف دماغه التي امتلأت خبرة وعلماً وحكمه ومعاني!!.
لكن كان في خاطره تجول ذكريات مر عليها زمن ولم تتنبش.
وردة حمراء كانت بكأس تضعها له ابنته بشكل يومي لأنها تعدل مزاجه لكن كان لرائحتها في ذلك اليوم عبق خاص أرجعه لعمر السادسة!

فلاش باك أول

تذكر هواه الأول الذي تشكل ببراءة الطفولة مع إحدى قريباته ، تربياً معاً، ونشأ على حبها بعفويه.

كانت الوردة الحمراء هي التي كان قد أهداها لها عندما أصيبت بحادث وقد أثار إعجاب الجميع بتلك الهدية الغريبة وامتعاضهم وضحكهم....

لكن هنا بدأت القناعات تتشكل لديه.

بدأ يبني أولى خطوط معرفته.

عندما لاحظ والدتها وأختها وخالتها بنفس النوع ، الذي يعد الأنفاس على الشريك ويكبته ويغلق عليه جوانب الحياة حتى لا يطيقها ، فتنشأ صراعات واحتدامات كثرة فتنغص العيش ،وتكدر الصفو.

هذا النوع من الناس أخطأ في مفهوم الحب السامي وترجمه على أنه أحد الممتلكات الخاصة التي لا يسمح لأحد بمسها وذلك لا يفسر إلا أن يكون إيجاد النقص المخشي في أحد يظهر عليه الكمال ، من ضعف الثقة في النفس.

نعم أدرك ذلك كله بعمر لا يتجاوز العاشرة فكثرة تفكيره ومجالسة العجائز كونت له شخصية عميقة التحليل.....

هذه إحدى الشرائط التي أكدت له ما يقترب منه.

كان تفتيش دروج مكتبه روتيناً يومياً يبحث عن شيء نسي ما هو لكنه متأكد بوضعه في إحداها منذ أزل طويل....

نعم الأحداث توحي له أن الرحيل قد حان فأخيراً تذكر أن ما قد نسيه ليس شيئا بل كان شخصاً غاص في قعر ذاكرته

هبت ريح الذكرى عندما اشتم رائحة شجرة موردة

مر قربها في طريقه للمقعد الخشبي يومها.....

شجرة الياسمين...........

ياسمين.......

إحدى نكساته التي كان قد غير بعض اتجاهاته التي يسير

عليها..........

تتخبط أمواج الذاكرة بعنف كأن الدنيا ضربت قعر

المحيط بمطرقتها..........

فلاش باك

أولى رسائلها الإلكترونية.. (في العقد الأول من القرن الواحد والعشرون..)

في الفترة ما بين منتصف العقد الأول والثالث من القرن

الحادي والعشرين كان ثورة رقمية عجيبة انتشرت بشكل

هيستيري في كل أصقاع الأرض فبات الصغير والكبير

يستخدم الجوالات و يرافقه أينما ذهب كأنه أحد أعضاء

جسده لفترات يومية تجاوزت الإثنتي عشرة ساعة.

واعتاد الجميع حينها على التعارف والتواصل والزواج والبيع

والشراء وكل ألوان الحياة

(إشارة ترحيب)!.. ؛

مرحبا أنا ياسمين هل يمكننا أن نتعرف...

نعم بهذه البساطة كانت الأمور.....

أهلا بك

أنا يوسف

.

.

..

وتابعاً تعارفاً دام لأربع ساعات ،
كانت طالبة في كلية الآداب قسم التاريخ....
تصغره بعام أفكارها طفولية غربية جريئة جنونية انفعالية
بقي يكلمها لفترة ليست بالقصيرة كانت أولى محادثاته مع
الفتيات لم يكن يدرك حينها أن هذه المحادثات والعلاقات لا
تؤخذ على محمل الجد فبدأ بالتعلق بها......
لم يكن يعرف حينها براعته بصف الكلمات.
فجرب أن يكتب لها رسالة تلفت انتباهها بتغزل مبطن اعتاد
الكلام والطريقة الدبلوماسية في مناحي حياته منذ الصغر.
"بعفويه بريئة، بعينين مفعمتين بالحياة ؛ لم أرهما لكنني
تخيلتهما ، يرتسمان بوجه أخذ القمر منه القليل ليضيء
عتمته . يتناسق مع جسد أنثوي لا يمتاز إلا بالجمال كيف لا
يمتاز به وهو يحوي أجمل الأرواح التي خلقها الإله ، نعم لم
أره ولكنني تخيلته.
حجاب أضاف طابعاً مثيراً للاحترام ، يجبرك على تبجيل
تلك العفوية الانفعالية ذات الرونق العذب، لم أره لكن
تخيلته.
احذري الوقوف بجانب بائع الورد لكي لا يسهو ويبيعك خطأ
وإياك أن تقتربي من محال الحلويات لأنهم يبحثون عن
نوعك النادر، نعم لم أره لكن تخيلتك" .
على الرغم من نيتها باللهو لا أكثر إلا أنها أثارت أحاسيسها

وجوارحها فالكلام الجميل والبسمة الصادقة لا تنقلها المستشعرات للدماغ بل هي تدخل للقلب وتتوزع من فيضها على الجوارح.

وبعد أن هدأت انتفاضة هرموناتها رأت ألّا تضيع الفرصة لكي تعلق طعم سنارتها الأنثوية بصورة أثبت، فردت إليه "لابد أنك تتعامل مع الجن حتى تصفني بهذه البراعة والدقة وتأمرهم بجلب قلبي خائراً بين يديك دونما مقاومة فما هذه كلمات بشر لم يرَ صورة ويصفها هكذا"

فأصبحت عيناه تشع حباً ....

المسكين يتعلق بحبال صنعت من خيط عنكبوت نعم تلك هي مكائد الأنثى تجعلك عالقاً ببراثن شباكها وإن وقعت بها والتفت حولك كانت لزجة لا تترك لك مجالاً لأن تتحرك وإن كانت دماء حبك أثقل من قلبها تجعلك تنزلق وتتدمر وتبحث عن غذاء آخر يسليها ويشبع رغباتها على الوجه الذي تريد.)

نعم هذه إحدى طباع الإناث.......

و استمر حديث الغزل هو يزداد تعلقاً بكلامها حتى ولو كان أنفاساً وهي تزيده بالتفاصيل القاتلة الفاتنة.

ثم فجأة تحولت دون سابق إنذار للطور الثاني من الخطط المعتادة لزيادة الجذب والتعليق والتعذيب......

فقطعت أخبارها عنه لأيام وهو يحترق لوعة فأرسل إليها رسالة علَّها تؤثر فيها

"بتعنت جميل ، بكبرياء عظيم تتمنعين

لماذا ؟!

ماذا فعلت هل قتلت لك قريب أم أهرقت دم أحد عزيز عليك.

أهذا جزاء من كنَّ لك الجميل

أتودين تحريف آية الله عندما قال ما جزاء الإحسان إلا الإحسان

تقولين أنّك مزاجية لا بأس أنا أعشق تلك الأشياء المجنونة.

تخافين على قلبك من الأذى وهل لي أن أُؤذي نفسي بك؟!

لماذا؟ ماذا فعلت لك أتظنين أني أريد بك سوءاً أيريد أحدٌ بطفلته المدللة إلا كل عشق وحنان.

لماذا؟ ماذا فعلت أجيبي؟

إنه لقلب مرهق ولم يبقَ أحد في الدنيا لم يكسره.

لا تجهزي عليه إنه يعشقك إذا حطم هذه المرة لن تقوم له قائمة مره أخرى"

(بداية التعلق استعطاف والخوف الأكبر يغدو الهجران إن كان يجد المرء ما يشده للطرف الآخر ، يعبر عنه بكلمات وأشعار وكتابات حتى لو كان أمياً جاهلا سينظم شيء ما)

فردت عليه ببرود أنها مشغولة بعض الشيء......

كان ذلك كافيا له أنها ردت عليه فأمطرها بوابل من الأسئلة والرسائل.

يحمد الله أنها بخير

يشكرها على ردها

وكتب في إحداهن

"تباً لا أتمالك أناملي إنها تتحرك بحركات لم أعهدها

إنها تضيء
نعم عرفت ما الذي يجري إنه الشغف لكلمات تلامس روحك
أجل إنها تلامسها ولكنك بتعنت غريب غير مسبوق
لم أشهده من قبل
هذا الضوء يدفأ رؤوسها التي تكاد تتجمد
في هذه الفترة حتى رؤوس أصابعي تشعر بأحاسيسك
أريد ان أخبرك أشياء لا تهمك حصلت وقت غيابك
لن أخبرك بخصوص الفاتنة التي كانت تشدني خصلها الذهبية لكن بعدك لم أكترث لوجودها إنها في هذه الأيام تقول لي بعينيها وملامح وجهها إني أبتغيك لقلبي قائداً لكن خسأت. !
لن أخبرتك عن ذات العينين القاتلتين اللتان كانتا يفطرنَ فؤادي
كل ما رأيتهن قبلك لا تتوقعي أن أخبرك أنها كانت تترك المحاضرة والمدرس وتنظر إليَّ وكأنها تقول لي تعال أبادلك القبلات ولكن خسأت.
هل أخبرتك عن صاحبة القد المياس التي أراها بشكل يومي
تلك الأخرى وقفت بجانبي وانتظرت أبادلها بعض الكلمات لتبدأ حديث ولكن خسأت
هل أخبرتك عن موظفة الشؤون المركزية التي غمزتني بوقاحة أمام الجميع ولم تبالي بمن كانت معي لكن خسأت.
هل أخبرتك عن تلك التي كادت تعانقني في محاضرة اليوم
بعدها جاءت لتريني مشروعها وتسألني ما تفعل وهي حقيقه

قد أنهت ضعف ما أنهيته نعم بعدها شقت الصفوف خارجه
بعينان لا أدري بماذا كانا ينضحان هل بالحياة أم بالحب
حتى أنها لم تخبر المحاضِرة وعلى الرغم من هذا خسأت
كل تلك النسوة الجميلات اللواتي أمام عيني'
قلبي لا يريد
سوى عنيدة لا تريد محادثتي لم أرى صورتها قط بل رأيت
روحها".
تلك الكلمات قد أرهقت روحها وأثقلتها بمشاعر لم تعتد عليها
فبدأت بالهروب الحقيقي لأنها أحست بجدية الموضوع
فهو كان قد وعدها بالخطبة فكتمت رسائله ولم ترد عليها
لفترة أخرى.
أما رسالته الأخيرة كانت لنفسه.......
"سحقاً أهذه كرامتي هكذا تداس
أنا الذي لا يجرؤ أحد أن يرمقه بنظرة لثانيتين متتاليتين
لماذا أهدرها؟!؟!
إنها لا تستحق ذلك أنها لا ترد على رسائلي
هي لا تكترث لوجودي
بأي خيط أنا متعلق؟
خيط أمل ليس له أساس
أم خيط حب نسجته بأفكاري
لما أرسل لكِ مجدداً هل هي الوحدة عليها من اللعنات ما
تستحق
أو هو عدم الاكتراث من أحد

النفس الإنسانية تميل لمن يهتم بها فهذه ليست مشكلتي بل هي
غريزة فطرية أنت من صببت الاهتمام صباً .
أنا لم أرَ سوى روحك وتعلقت بها وأردت لها أن تستمر
لعمر
هل أنا غبي أو أحمق أو ساذج يقولها لي جميع من أخبرتهم
بقصتك قالوا لي افترض أنها عوراء أو ينقصها أحد
الأطراف
وأنا أقول لهم لم أرها لكن أحببتها
إنهم محقونيجب ألّا نتعلق بأحد لم نره
لا تبع نفسك دون ثمن ولا ترخص في شخصك أنت أعظم
من كل هؤلاء الفتيات بجد أنت عظيم كلمات قالها لي أحد
الأصدقاء وأريد أن اكتبها بذهب وأعلقها بقلادة على عنقي
أنت لا تستحقين ذاك
لن أتبعك مرة أخرى
لن أرسل لك مرة أخرى
أقطعه عهداً على نفسي
حتى تعودي وتتوسلي وثقي أني لن انتعلك حذاءً"
قصتها قد نسي باقي تفاصيلها مع موجة نسيان زهايمرية.
لكن هذا النوع رغم ذلك يجعلك تعشق التفاصيل كثرة
اهتمامات البداية ، والعاطفة الزاخرة والشخصية المجنونة
الطفولية البريئة بعض الأحيان لكنها تعرف ما تريد فهي
تبحث عن العبث والتسلية لا عن الحب والارتباط لأن
المراهقين العشرينيين غباؤهم العاطفي أعلى نسبة من الآخرين.

نسي الطريق ونسي أين هو قبل أن يكمل دربه نحو كرسيّه المهترئ و كالعادة أعاده وحيد لبيته بعد أن رأى ذات العينين التائهتين في غابر الزمن.

اعتاد ذلك منذ زمن دون تذمر أو شكوى.

كيف ذاك وهو صديق ورفيق السلاح أخو الخنادق والرصاص الذي تبقى من مجموعتهم المقاتلة على عتبات الحدود الشمالية التي استرجعوا فيها ما اغتصب منهم.

لم يبقَ كبير ولا صغير لا غني ولا فقير ولا حتى مواطن أو مسؤول لم يتعاضد وراء المتاريس فبعد شقاق الحرب الأهلية

الذي دام بضع عشرة سنة حتى أنهكت البلاد وتحولت لكومة

ركام ومحيط من الدماء وزرعت الأرض أشلاءً.

تلك الحرب التي خسر فيها كل من فيها.

لم يستفد أي طرف وللآن ما عرف أحد لِمَ كانت وكيف انتهت ؟!

لكن حصار الغرب المجحف وقتها الذي أجاع الحجر والدواب والبشر حتى غدت لقمة الخبز ما يتمناه الشعب والحكومة على حد سواء لم يخرجوا منها حتى انتصروا على القوى الكبرى لوحدهم.

غلبوهم بتوحدهم وتكافلهم و وقوفهم صفاً لصف........

وصلا لما قبل فناء منزل يوسف الذي كان قد ذهبت عنه اختلاطات النسيان ووجد نفسه مع وحيد فأصر عليه

بالدخول كي يسترجعا ذكريات الماضي.
تمددا باسترخاء على الأرائك في الغرفة الخارجية وقد قدمت لهما سلمى زوجة يوسف الشاي.......
بعد أول رشفة ذات الصوت العالي تنهد وحيد وقال له
إنني أفتقد أصدقاءنا وإخوة بنادقنا
نظر ليوسف الذي تتخبطه الذكريات وكأن عينيه بحر من كلمات المذكرات والتاريخ.
أتذكرهم وألتاع من ذلك هم من قد استبسلوا وقضوا بشرف
وأنا من تراني أضيع دربي وأنسى اسمي لقد رددنا لأرذل العمر يا صديقي.
ماذا قد حل بزوجة وأولاد عامر كان لا ينفك يهذي بهم آخر أنفاسه.
قل زوجاته وأبناؤه الكثر
زوجته الأولى.......
هيفاء؟
أجل
قبل أن يذهب للحرب كانت قد تطلقت
حياته معها لم تكن تطاق فقد هجرته لمدة طويلة قبلها إنها من أسوأ أنواع النساء اللواتي سمعت عنهن
استخدمت جمالها وفتنتها لتوقع به فتزوجته بأسرع ما يمكن لتخرج من حياة أهلها الفقيرة التعيسة على الرغم أنه كان يكبرها بعشرين عاماً.
لتجد نعيماً لم يكن لأحد من عائلتها أن يحلم به كثيراً من

المال والدلال لكن
'من تغذى على الفقر والحسد والجوع وذلة النفس وكبر به لن يشبعه مال الدنيا إن ملكه سيبقى كل حياته ينثره على أن يتشبه بأبناء العز لكن دماء الشح تجري به' .
فلم يشبعها لا قليل ولا كثير وصارت تسرقه وهو لا يحس ولم تعتد على جو الأسر المتحابة فلم تبقِ في عائلة زوجها أحد يكلم أخاه من رمي فتن وخلقها؛ وحتى تعاملت بالسحر لتلبي رغباتها.
لكن مع أول ضنك أصاب زوجها مما دفعه للتضحية بأمواله كلها ليخرج ابنه الذي ربته على الترف وتلبية المرامات وأن كل شيء رهن إشارته متى شاء فقد دهس أحد الأشخاص بعد سرعة كبيرة بإحدى سياراته وهو لم يتجاوز سبعة عشر عاماً فخسر كل أمواله وتجارته تركته مباشرة.
وقعد هو محسوراً لذلك استبسل في حرب الشمال حتى قضى ولو أنه لم يمت لانتحرَ فلم يعد يطيق نظرات الناس له بعد فضيحة ابنته التي هربت مع عشيقها تلك التي تربت على يد أمها التي أدخلت لهم في حياتهم كل فكرة غربية وفاسقة بغية مماشاة واقع الترف فقد دمرت عائلة بأكملها.
استذكرتني بقول أبي ذي الحكم "لا تتزوج بارعة الجمال لأنها ستتعبك وتفقرك وتفسد جاهك وولدك"
أغلب من أعرفهن قد تفوقن على أنفسهن بالجمال خسرن معركة الحياة بعد عامهن الثامن والعشرين أو التاسع والعشرين فقدن أنوثتهن كثرة الخروج والبروج والسفور....

يظنن أنهن قد بلغن الغاية عند اجتماع الكثيرين حولهن ألم يدركن أن الحلوى إن كشفت لا يجتمع عليها سوى الذباب وإن اجتمع نفرها الناس وعافوها يقلون أنت الذباب على الحالتين لا ذباب البشر هو من تجده يحوم حولها فقط.

فتجمهرهم حولها إشباع نظرتهم بجسدها وفتنتها ولن يتزوجها أحد منهم وأن حصل لن يدوم ذلك

ينظر عميقا أتذكر" وجد "التي كانت معنا في جامعتنا

نعم.......

حلم الزملاء حينها الوقوف معها والكلام إليها كانت كأنها نزلت من الجنة بقيت حلم لكثير منهم حتى هذوا فيها وكتبوا الشعر والنثر......

أتذكر أحد النصوص التي كتبها عبد الله الذي طالما عشقها وحلم بقربها من صدق كلماته ما زلت أحفظ بعضها.......

"يوم جديد

صباح جديد

حلم جديد

لكنك أنت نفسك ولا يجوز أن يكون سواك

كنت عاشقاً للسهر مبغضاً النوم لأنني أرتوي بتذكر جمال وجهك.....

الآن لا يدعني أحدهما أن أخلد للآخر من فرط عشقي لهما

نعم بتُّ الآن أعشق النوم أيضاً لأنني أرى معالم وجهك برويه فلم أعد أعتصر الذاكرة حتى أتذكرك بسهري لشوقك

دعك من ذلك سأروي ما رأيت

بجو مسائي هادئ مع نسمات لاذعات جميلات البرود
كنت ماشيا منهك الخطا بعد نهار حافل بالعمل
وصلت لأحد المحلات على زاوية الطريق يبيع الحلوى
فاقنعني أحد من كان يمشي معي وقال لي ادخل المحل
المجاور لم أعرف لماذا لكنني دخلت، كان بمدخله نور ليس
لشخص عادي لا أبداً بل كان ضياء أحد الملائكة دخلت
متلهفاً لأنظر لصاحب النور علِّ اقتبس شيئاً منه دخلت
ووقفت مبهوتاً مذهولاً من هول المنظر هل هي أنت؟ ما الذي
تفعلينه هنا أمثلك يكون هنا ثم تذكرت أنه حلم ليس له قيود
لم أتمالك نفسي بالنظر إليك مثيراً استغراب من معي
فتكلمنا بعض الشيء لكنني لا أذكر في هذا المشهد أي كلمة
لكن الكلمات كانت بوقع عذب على نفسي إني لا أذكر إلا
تعابير وجهي
ثم استيقظت بعدها ليست البعوضة اللعينة من أيقظتني اليوم
صوت يدعوني للصلاة نعم هذه المرة تفاءلت خيراً .
تباً نسيت مرّة أخرى أنت لا تعرفينني ولا تعيرين لوجودي
اهتماماً
وجودي ما أجمل هذه الكلمة التي تحوي اسمك" .
نعم قد هَذا بها كثير وحلم أكثر
وأذكر أنه كتب لها هذياً أيضا
"وبعد أن تعرفنا على بعض بمحض الصدفة المقصودة
اكتشفنا أننا عاشقان مغرمان كان يستحي كل منا أن يبوح
للآخر وأتممناه بزواج يلبي طموحنا بعيداً عن البذخ

والترف... زواج لقلوبنا و أرواحنا.
; وقضينا أجمل شهر على الإطلاق في حياتنا.
في مكان ثلجي كنتِ فيه أجمل نساء الأرض بعد أن عكسْتِ نورك عليه
تباً لتلك البعوضة المقيتة......
لقد كان الحلم اليومي الذي يستمر من الفجر حتى الصباح
هل كان من الضروري أن توقظنا تلك اللعينة لقد كان أجمل أحلامي.
هل تعلمين أنا متفائل جدا بهذا الحلم لأن الأسطورة في بلادي تقول أن الأحلام تتحقق إذا شاهدتها بعد الفجر.
كيف لها أن تتحقق وأنت بهذا التعنت والكبرياء العالي
صحيح ألم أقل لكي شيئا أنا اعشق تلك العجرفة الخاصة بك التي تميزك عن باقي نظيراتك.
وفي كل مرة أكتب لك أنسى أهم شي ء أنت لا تعرفينني حتى
ولا تعيرين لوجودي أدنى اهتمام.
وجودي ...كم أعشق تلك الكلمة لأنها تحوي اسمك.
أعشقك أيتها البلهاء أحسِّي بي" .
رغم تلك المناشدات والعشق لم تعره أي اهتمام وفضلت حياة اللهو على ذاك الحب.
وما كانت نهايتها ثلاثينية فاتها القطار بنظر المجتمع
(فاتها القطار كلمة أقبح ما تكون فيها كمية كبيرة من التخلف والجهل وهل حدد أحد وقتاً للزواج أم أن ذلك نصيب

من الله في غالب الوقت لا تقل إني أناقض كلماتي أعرف ما الذي يجول في خاطرك لكن هي من اختارت ذلك بيدها لكننا الآن نتكلم عن الجمهور وليس الخصوص فكثير ممن تزوجن في الأربعين وعشن حياة أهنَأ بعشرات المرات من اللواتي تزوجن في السابعة عشر فالله كتب لك طريق حياتك بشكل يناسبك انت وليس المجتمع فاقنع به ولا تصغِ للحمقى من حولك)

وبادت مفاتنها وأصبحت نادمة على ما أسلفت.

سأرجع لعملي يا صديقي لقد تأخرت قالها وحيد راشفاً ما تبقى في فنجانه.

تحسس يوسف حقيبته وأخرج صندوقه المقدس الذي يرافقه أينما تحرك لم يجرؤ أحد على لمسه قط

الجميع قتلهم الفضول لما يحتويه

فتح كنزه وأخذ يمرر يده على بعض الأوراق المهترئة.

فتح أول ورقه كان قد خرب الزمن جزء منها ليرى ما كتب عليها.

"سمعت حسيسها حين مررت جانبها

تقول أين حسناؤك يا فتى

هل أضعتها أم حطمتها

تباً لك إن فعلتها

يا مقاعد الدهر والزمن

لا تلعنيني فلست أنا من هَجرتها

بل كانت أقدارنا التي كتبت علينا

دمرتنا وأحلامنا و آمالنا

تلاشت طموحاتنا وفتتها
شردتنا فرقتنا بأصقاع الأرض رمتنا
نعم كانت مقاعد الدهر والزمن من تكلمت
همت الطريق متجهما
اعترضتني شهب الحجار والرصف من جلق
كررت سؤال أخيها
أين حسناؤك يا فتي
فعطرنا بهت وريحنا ذهب
ورونقنا غار وانطوى
منها كنّا نستعبق الهوى
من ضيائها نلألئ بالجوى
هل ستطيل علينا الفراق
فتالله عز علينا الهوا
اصمتوا فذكرها في كل شبر يحتضر
وفي كل لحظ طيفها يستمر
من خيالي جهدت كي يستتر
لكن أبى وأبى إلا
أن تنشر ذكرها في بالي كل عطر
هل تذكرين مقعدنا المقدس يا حوراء
هل تذكرين كلماتي المبعثرة يا حوراء
كم سهرت من ليال لنظمها يا حوراء
انطفأ بريقها وطويت يا حوراء
وباتت أفكاري تلعن الفراق يا حوراء

قد طال وطال و طال
هل تذكرين تراشق النظرات بالدمع يا غصن البان
هل تذكرين ذلك الموقف الحزين يا غصن البان
هل تذكرين حديقتنا المقدسة يا غصن البان
كلها ذكرى تمزقني حين أسترجعها
قهوة الصباح في فناء الجامعة تقرئك السلام
حجرنا المقدس يقرئك السلام
تلك المظلة الحجرية تقرئك السلام
عبق الهوى يقرئك السلام
فهل ستردين عليهم السلام
كلماتي بُعثرت كمجنون يهذي
لم يعتد على البعد والزهدِ
لم تنتظم شعراً ولا نثراً بل انتظمت
قهراً وجبراً وكسراً
صرخة أوقفتني بغتةً
لم أدرِ من صاح بالصدى
كانت هبّات النسيم تأتي من المدى
قال ما بال حالك قد انقلبا
ووجهك قد شحبا
وجسمك قد هزلا
وفكرك قد انتحبا
وفي قلبك غصة الأنين
وفي عينك دموع تستتر

وفي جوفك نار تستعر
ما حل بك يا فتى
نظرت في عز الذهول
هل ما سمعته هذي وخبول
هل رأسي قد اضربَتْ فيه الطبول
سمعت زعيق آخر من جديد
ريح انتشرت معه ذكرى بقلبي تعيد
قال ريحك قد بهت
تعودنا ريحك زعفران إن أتيت
وتقطر علينا الشهد إن طلَّت
ما بالك يا فتى
اجتست خيفة من أصوات ترتعد
ما وجدت حولي سوى حبات من رمل لا تعد
كانت هي من أصواتها تشتعل
جاوبتها بصوت فصل المدى
قد فارقتني حورائي
بليل ليس له ندى
عاتم قد خسف فيه القمر
أودى بقلبي للسعير
وحرقه بمشتعل الجمر
ناشدتك بالله يا حبات الرمل
ابتهلي إليه علَّه يقضي مجدداً بالأمر
ويجمعنا من سماء ليس لها حصر

إلى بقعة يرضى لنا بها الستر"

غاص مرة أخرى إلى أعماق ذاكرته.

فلاش باك

في مقصف الجامعة يجلس مع زملائه يتبادلون أطراف الحديث

في خضم تغير الأوضاع ، وتبدل الأحوال ، و انقلاب موازين القوى العالمية آنذاك والتسويد الغربي على حسابنا، وتخاذلنا وتطبيعنا لهم ، وبيعنا قضايانا و الأراض المقدسة ابتغاء كرسي ثابت.

مذعنين لهم حتى أخمص أقدامنا، لا أدري ما الذي أجرى علينا هذه الأحوال، من الممكن أننا وجدنا عليه أباءنا سائرين.

وكانوا يرموننا نحن بالتضييع وهم من بدؤوا برصف أحجار هذا الطريق.

بيان : أكرهكم يا يوسف وأكره مبادئكم المتحجرة الشرقية

يوسف مبتسما :أرى أنك بمزاج سيّئ حانقة جداً اليوم

قاطعته باقتضاب : وأمن يعيش بينكم يعيش السعادة

حافظ على هدوئه المعتاد وقال ببرود هوني عليك لا تحملي الأمور أكثر مما تستحق أخبريني ما الذي جرى

قل ما الذي لم يجرِ........

مجتمع شرقي متخلف ،قالتها بتعابير وجه حانقة.

رد : شماعتكم المعتادة تحملون عليها أخطاء عاداتكم و أفكاركم المهترئة.

نظرت بتعجب ؛ وقالت مستنكرة : ألست من تنادي بالتحرير
و ترك التخلف والرجعية وتسب المجتمع
.قاطعها لا أسب المجتمع بل أشتم العادات البالية فيه
أكمل...
ما الذي حصل قولي لي
حسنا سأروي لك ما حدث كنت متجهة للبيت ورآني أخي
وشاب يمشي خلفي ويعاكسني ، فبدل أن ينهره وضع اللوم
عليَّ أنا
وانهال بالشتائم وتوجيه الملاحظات على حركاتي وطريقة
لبسي
وإلى ما ذلك تباً لهذا المجتمع الذي يكبت علينا كل شيء
لنناقش الأمور بنداً بند
من عادة المجتمع أن يكون مع الأنثى شخصٌ يرافق طريقها
يسميه الإسلام مُحرماً نحن نجد أن هذا قمة التخلف والجهل
ونرفضه بكل ما فيه معتبرين أنه انتهاك للحقوق وعدم الثقة
لكن تعاليم الرب أرقى من أن تكون تقييد للحياة الخاصة بل
حماية لها.
بالطبع ستقولين إننا في القرن الحادي والعشرين وهذه أشياء
بالية عفا الزمن عليها.
لو كان معك من رافقك لِمَ تجرأ عليك ذلك المختل فبدل أن
يصب عليك جام غضبه لما لم يكن معك ؟
أما عن لباسك........
هذه الحريات التي اشتريناها من الغرب وأصبحنا لها متبنين

ما كانت قط لنا ألا ترين أن أغلب المتبعين للموضة
المزعومة يعرون أكثر ما يسترون أهذه تعاليم خير الخلق
والناس على اختلاف الآراء في هذا الموضوع فمنهم من
يرى المنقبة قمة الحشمة والأدب ومنهم من يراها تلبسه
لتستر ما تفعله من عهر و بالتدريج كل شخص أو طبقة
اجتماعية ترى لباس الطبقات الأخرى ليس منطقياً.
أما الدين لم يكبت جماحنا لا أبدا بل أطلق لها العنان
لكن نظم الأمر كله ولولا ذلك لكنا نعيش كغاب
أو تظنين واقعنا هذا فقط؟
أم أننا نأخذ ما يصور لنا من أطراف العالم المترامي
إذا ما بحثت عن نسبة التحرش في دول التحضر لوجدتِ
أنها فاقت نسبنا بأضعاف مضاعفة جرائم الاغتصاب لا تعد
ولا تحصى أم نحب كعادتنا أن نأخذ فقط الجانب المشرق
الذي يروننا إياه
وما علاقة اللباس بالاغتصاب الذي تقول وما دخله بالدين
هذا مربط الفرس فلولا السفور والعري لما أثيرت شهوة
ولكن نطلب من الناس الالتزام والنساء شبه عرايا حتى لو
سترهن حجاب هذه نفس إنسانية مجبولة على الغريزة
وشباب لا تطيق زواجاً ونلقي اللوم دائما عليهم
أعرف أن حديثي مكرر لكن الجديد الذي يجب ألّا
نرمي كل شيء على المجتمع ونسبه بشرقي
فليس الغرب بأفضل من الحال
تنظر إليه مستاءة ..!

فيبادلها ابتسامة ويقول أعرف أنك لم تقنعني بذلك وتصرين على أن الحق ليس عليك

من المنصف أيضا ذكر أولئك المختلين المكبوتين اجتماعياً الذين لا يذرون أحداً لا يلتاع من معاكساتهم الغبية إنهم لن يوفروا حتى

عجوزاً مرت بجانبهم أو حتى منقبة تراءت لأنظارهم الثعلبية ولا ضير أنهم يشكلون شريحة كبرى من الموجودين بيننا وأغلبهم متزوجون وهذا بيت آخر من الشعر زدتك إياه ولكن الطرفين هل تستطيعين أن تحصري بهم مجتمع شرقي.

طبعا تعاليم ذلك المجتمع لم تنادِ بذلك بل وجبت على الطرفين الاحتشام والحياء.

صدقت...

تضيف إحدى الجالسات التي كانت تحدق له بنظرات تأسرُ الفؤاد

وماذا عن الذين لا يتركون نملة تمر دون انتقاد ؟؟

موضوع آخر مغاير البتة لكن لا بأس......

عادة الناس وشغلهم الشاغل ما قال وقيل لقضاء أشغالهم وتركهم عيوبهم وترين ذلك منتشر في جميع الأصقاع

لكن المجتمع الحنيف حذر من جلسات غيبتهم و وجب عليهم الابتعاد عما لا يعنيهم حتى حرم هذه الأشياء

لو أنهم تركوا عيوب هذا و مشائن تلك وانشغلوا بإصلاح رذائلهم لكنّا قمة المجتمعات ولكن لا نعترف بعيوبنا وعددنا

أنفسنا مع الملائكة.
ويمر بهم أحد السذج من طالت لحيته وغزاها الشيب قائلاً :
بصوت متمتم جيل لا يعرف سوى الاختلاط وجلسات العهر
فتتجه النظرات حول عمر وكأن بهم يقولون تلقى وابل
الجهل عمن تدافع.
يضيف بئسُ اللِّحى التي يقول أهلها ما لا يعقلون
أوكل من مشى مع جنس آخر أصبح بعلاقة محرمة هذه
الخرافات مبتدعة حرموا بها ما يريدون...
أوكل من خرجت خانت ثقة أهلها تباً لأفكارهم...
لم يحرم حنيفنا الاختلاط هذا بل كان من يدرس في السلف
ويعمل من الطرفين سوية دونما وجل ولم يعب عليهم أحدٌ ما
فعلوا فكان زمن الخطاب مسؤولة السوق امرأة وألم تخالط
رجالاً تلك ألم تداوِ عائشة ومن معها جرحى معارك
الإسلام أم لم يكن ذلك تخالطاً ألم تجتمع الخنساء بين الرجال
وتناددنهم بالشعر في أسواقه وكل هذا في عهد النبي ولو
رأى النبي في ذاك حرمة لمنعه.....
لكنه حرم الخلو فقط ولم يعب على غيره
أتظنون أننا معشر الذكور في منأى عما تعانون من بلاهة
العادات تلك
إن وجدوا شاباً يدخن عابوا عليه ولم يقولوا يفرغ أعباء
حياته في هذه السيجارة
وإن وجدوه يصيح عابوا عليه ولم يقدروا أن الأوضاع قد
أثقلت كاهله

وإن وجدوه عاطلا عن العمل لم يقصروا بسبابهم وتعنيفهم
وهو قد تورمت قدماه سائراً يبحث عن عمل شريف يقتاتُ
وعائلته منه وعلَّه يضع بعض لبنات مستقبله لكن القدر و
التياسير تعاكسه
أولم يدركوا أن تلك الأشياء تخرج عن الإرادة غالب الأوقات
ولا تكن إلا من الضنك والضيق.
تقول إحداهن بضحكة جابها الصفار أنتم لا يعيبكم شيء
أوليس ما تدعون إليه.
ومن قال ذلك تلك ذكورية ابتدعوها ووجدوا نفسهم لا
يخطؤون ضعف الطرف الآخر وعدم مناداته بما يحق له
فكان فيما سبق يعيبون على الرجل أكثر ما يعيبون على
الأنثى
ولكن نحن نأخذ ما نريد ونذر ما نريد.
وبعد النقاش المحتدم كان بنيانه قد انهار أمام سهام لحظ تلك
الفاتنة.
لم يحرك رأسه نحوها إلا وتلتقي عيناهما.
حتى دار في خاطره كلمات منسَّقة تصف الموقف
لكنه احتفظ بها لنفسه
"سهام متتابعة مزقتني إربا
لم أستطع تحمل النظرات لم أفهما أو فهمتها لا أدري
ما رأيت بذلك الدعج قط
ولا ألطف من تلك المساحيق حول العين
لا أذكر ما الذي ترتدينه أكان رماديا أم أسودا

جاذبية عينيك لم تدع لي المجال للتذكر
صرت أحول عينيَّ ببلاهة حمقاء
لم أدرِما أفعل لا أريد أن يتعلق بأي شيء فانتكاستي لم تشفَ بعد ولا أريدها مرة أخرى أن تكويني
خرجت وأنا أحشرج كارها مرغماً لكي لا تفتك بما تبقى من جسدي تلك السهام التي لم أشعر بلذتها من قبل
لا بأس سأتذوق باقيها فيما بعد إذا قدر لنا اللقيا مرة أخرى".
فض المجلس حينها لأن إحدَ المحاضرات كانت بانتظارهم.
وانتشروا بين أروقة الجامعة.
ترك المجلس الآنف ولكن بقي فكره فيه في الوقت نفسه .
هو لم يعرف من التي كانت تمثل أمامه لا اسمها ولا دراستها لم يكن يعرف إلا الأصدقاء المشتركين.
بعد أن أنهى دوامه وعاد لمنزله كان قد اتكأ برأسه على نافذة الحافلة يفكر ببضع كلمات قالها لهم المحاضر على عجل بهامش نقاش.
"يجب الاعتياد والتسليم بالأمر الواقع لوجودهم بيننا فالمدة الزمنية التي قضوها في هذه المنطقة ليست بصغيرة عدا عن الجذور التاريخية المتأصلة"
شوش لديه بعض القناعات هل بحق هم أصحاب أرض وأصحاب تاريخ
أم أنهم مغتصبون محتلون
هل يا ترى يجب القبول بهم بالنهاية
أم أن المحاضر تأثر ببعض كلمات المطبِّعين الجدد من

المستعربين أرباب النوق العويربيين الذين ما عرفوا من
العرب سوى لغة لا ندري كيف اكتسبوها
فأصرَّ أن يبدأ ببحث ليشفي فضوله.
بعد وصوله للمنزل اتجه مباشرة نحو حاسبه ليكتب في إحدى
المتصفحات
"أصل اليهود في فلسطين"
فوجد ما يلي
كان اليهود من أبناء" يعقوب" عليه السلام بعد أن كانوا قد
استقروا في فلسطين شاء الرب أن يجري حكمته ويباع
يوسف عليه السلام عبداً ليصبح فيما بعد قائم خزائن مصر
ويهاجر يعقوب عليه السلام وأبناؤه لمصر..
ويبقون فيها إلى أجل مسمى حتى بعثة موسى عليه السلام
وهروبهم من آل فرعون و بلع اليم للأخير وعودة موسى و
قومه لفلسطين ثم قيام الحرب الأهلية للصراع على السلطة
فيما بينهم ليتهجر عشر قبائل منهم أحدى عشرة أصلية لبلاد
الشمال من أوروبا وفارس وغيرها وتبقى قبيلة يقضي
عليها البابليون في نهاية المطاف ويأخذونهم أسرى إلى بابل
بعد تحطيم الهيكل المقدس ومراكز المدن ولم يبقَ حينها
سوى بعض المشتتين المفرقين بين قبائل العرب وينتهون
في أرضنا بشكل شبه كامل ثم يعودون بعد أكثر من أربعة
آلاف عام يطالبون بأرض هجروها هم ومن أتى للمطالبة
والسكن فيها ليسوا يهوداً أصلا بل بعض من اعتنقوها في
فارس وكان من المضيق عليهم هناك وبأطماع دول

الاحتلال لهم كي يضعوا حجر عقبة بين العرب المفرقين ليزيد شتاتهم وهؤلاء لا يعبرون عن بعض اليهود الباقين في الأرض الأصلية

لا من استوطن ودعم بالمال هم من اتخذوا من جبل صهيون مقراً لهم أما السكان المحليون كانوا في تآلف تام فيما بينهم.

وعلى الرغم من كل محاولات العرب الفاشلة في طردهم إلا أنهم استطاعوا في النهاية من تشكيل بعض المافيات التي أسموها دويلة وليدة بدعم كل الغرب بالمال وأسلحة الدمار الشامل الممنوع عم السكان الأصليين

وبعد خوف حكام المستعربين على كراسيهم أصبحوا يتساقطون على كعوبهم مطبعين لاعقين لها كي يسمحوا لهم أن يستمروا في الاضطهاد مقابل أن يعطوهم بترولهم وثرواتهم.

أهؤلاء الذين يريدوننا أن نعترف بهم ؟!

من اغتصبوا أرض أجداده نطبع لهم و نبيع أصحاب القضية مقابل بعض الدراهم ؟!

فكتب كلمات في نهاية بحثه ،

"أرباب الإبل ورعاتها
أعطاهم الرب وأغدقا
أموال ما جرأة لديهم
كانت أن يحلموا بها
أو إلى الرؤوس كمها
يأتي بمثله ويتطرقا

خيامهم لليوم شاهدة
والقمل أخذ رؤوسهم ملعبا
ظنوا ببعض الدراهم أنهم
وصلوا للبشر مقاماً ومتربا
خسئتم رعاة الغنم بالقضايا
أن تحكموا وتعطوا بها الرؤى
اذهبوا أطعموا دوابكم
فأنتم بقضاياها أحكما
فلسطين العروبة تطبعون بيعها
لا و رب العرش ما وصلتم شرف لفظها
إنها للعرب نيشان من يوم الخليقة
وستبقى عربية طول المدى"
ثم استلقى على سريره وهو يفكر بتلك التي فطرت لبه
ويستجمع ذاكرته عله يتخيل صورة لها عدا عينيها التي
طبعت في قلبه.
ثم أفاق يوسف من سكرات حلمه.
وأخذ يتلمس أخرى الصفحات الممزقة
لتقع بين يديه ورقة أخرى.
كتب عليها
"في منتصف جلسة السكون التي لا يكتب لها الديمومة
تتعمد الابتعاد قدر الإمكان قدر الإمكان
عزلة تراجع بها كل ملفاتك
إنها السكينة المرجوة منذ دهر تجاوز الأزل

عتمة ممتعة للنظر ترى كل شيء بوضوح
هدوء يجعل أذنيك تضج بك
لا ضير ببعض المرض الذي يضيف اللذة للحياة
تجد أجزاءَك مبعثرة في كل مكان
مجمعة في الزوايا المرهقة
لا تحس بالحاجة للطعام حتى بعد مرور أربعين ساعة
مسلسلك المفضل يعيد لك النشوة
نعم! ؛ كل ذلك مكافأة صغيرة لمعرفتك ذواتك
تحجيم الجميع يحفز تلك النشوة
عدم المبالاة بأي شيء يوصلك للرعشة العقلية"
تلك بعض فلسفاته الخاصة في الحياة.

أفضل الاشياء التي يمكن أن تصل إليها النفس هو السلام الداخلي وهو من أمتع الأشياء في الحياة وأصعبها تنفيذاً فهي تحتاج لحرب تدمرك بشكل كامل ثم تقوم ببناء نفسك من جديد تدمر جميع المعتقدات والقيم المقدسة في نظرك التي أنت من تصنعها وتقدسها وتعظهما وهي لا تفتأ تحطمك وتدمر أجزاءك وتحطمها وتبعثرها في الهواء لمجرد أنك فقط لا تجرؤ على التفكير بها فقد برمجت عقلك الباطن على ذلك.

لكن بالوقت الذي تعطيك فيه هذه القيم صفعة في الصميم تقف مذهولاً مبهوتا مخذولاً فكل ما قدسته كان له الأولوية بتدميرك وتحطيمك.

تراجع أربع خطوات للوراء ارفع رأسك رويدا رويدا انظر

أبعد بعشرة أمتار من أنفك تفحص محيطك ترى أجزاءك مبعثرة على هوامش الجميع.

لا تقل لماذا فعلوا بي هذا.

لا تبقَ ترمي كل الأشياء على الآخرين وتلمهم ، هذه أخطائك.

أنت من قدست غير نفسك و وضعتها في المقدمة دونك وتقضي وقتك لأجلها وفي النهاية كل ذلك لم يكن مطلوباً منك بل عبئاً عليك.

لا باس مازال أثر الصفع يؤلمك ، تمتع به . تمتع به مرة أخرى أحببه.

هو من سيقوم طريك ويعيد لك الرشد.

أرجع الجميع لحجومهم الطبيعية لا تعطهم أكثر ولا أقل.

اعتزل الناس بعتمة دامسة بهدوء تام استلقِ باسترخاء. تأمل السقف لم تره لا بأس أعد المحاولة هل رأيته الأن لن يفيدك بشيء سوى أنك ستعلق كل ما تفكر به عليه أرح تلافيف دماغك من كل شيء أنت الآن في قارب صغير على نهر تطغى ألوان الطحالب عليه لكن على الرغم من ذلك المياه نقية، جبال تكتسي بعشب أخضر أنت الآن تحدق في زرقة السماء بعض النسمات تبعث بك النشوة.

أنت الآن في مرحلة السلام الداخلي ،

مارسه يوميا حتى يعم بك الهدوء بشكل تام.

لا بأس اشكرني لاحقا.

"من إحدى مقالاته التي تخص علم النفس

كان يؤمن بنظرية الحجوم لم تسمع بها من قبل لا بأس هو ابتكرها ولم يعرفها إلا القلة حوله ما يجده ملهماً كان لا يعطيه لأيا كان إحدى قواعده كانت

"لا تدنس أفكارك بذكرها أمام من لا يستحقها فتغضب وتولي دون رجعة"

نظرية الحجوم الخاصة به

"الناس ليسوا سواسية في التعامل ،

كما لكل مقام مقال ؛ لكل إنسان تعامل

أعط كل شخص على قدر حجمه"

لست مضطراً لتضحك بوجه الجميع ولا تبجيل الجميع ولا تصديق الجميع ولا تأخذ كلام الجميع على محمل الجد والتنفيذ ولا تكثر السلام عند كل مرور ولا تكثر التبسم عند كل التفاتة لا ضير في بعض العبوس عند المشي وحيداً كل ذلك يبعث رهبة بالنفس.

إن لم تكن بمزاج جيد لا تجامل ولا تضحك لست مجبراً أعطِ نفسك ما تريد لا تجبرها على عكس ذلك راحة نفسك أهم بكثير من أن يقول الناس إنه لطيف كثير التبسم فكثرة التبسم في والوجوه تذهب الهيبة وتدل على الضعف.

أنت لست ضعيفاً بل تجعل الجميع يستضعفونك لا تسمح لهم بذلك أنت عظيم على رغم من أي مستوى تعيش به و أي ظرف تمر به تعظيم الذات أكثر شيء يمكنك تقديمه لنفسك لا تهتم بما يقولونه وما يتهكمون به عليك.

لخص يوسف ذلك ببعض الأبيات

"ما بال العبيد اكفهرت وجههم إذا ما
اختصرنا على قدرهم حديثا والسلاما
و أعطيناهم على قدر حقهم مقاما وما
بخسنا لهم حجما بل زدناهم وكنا كراما
أنجاس مناكيد واللؤم بان بأصلهم وطغى
على طبعهم و بإظهاره كانوا رغاما
أيظن ذوي الأربع إن اكتفوا باثنين ولبسوا
خرج الحرير وحملوا به ذهبا صاروا عظاما
إن ظنوا بعلمهم أنهم قد وصلوا للناس قدرا
فإن لأبي صابر وجبت له لفه وأكبر عمامة
علَّقوا هجوي على رقابكم نيشانا واكتبوه
بماء ذهب على جباهكم علكم تعلون مقاما"

فلسفاته أعطته راحة نفسية فلم يكن مضطرا أن يفكر بقول هذا و فعل ذاك كان يفعل ما تشتهيه نفسه وترتضيه.

فجأة بينما هو يقلب صفحاته الشبه مهترئة ثقلت يده اليسرى فجأة دون سابق إنذار وتدلت على جنبه وانزلق ظهره قليلا ليعلن أولى نزعاته بعد مرور برهة ثم الوقت كانت زوجت مرت صدفة

(صدفة آسف عزيزي من تقرأ سأقطع القصة عليك قليلا لأن الكلمة فيها معاني كثيرة وتأويلات أكثر

لا وجود لشيء اسمه صدفة فهذه الأحداث تنقسم لقسمين لم تسمع بهما من قبل على الغالب ،

التكرار؛ أنت تفاجَأ عندما تسمع الأغنية التي ترددها في

عقلك تذاع في مسجل السيارة ليست هنا النقطة الفارقة لا أنت تردد مئات الأغاني والمقطوعات بشكل عفوي ودائم هكذا دماغ الإنسان عندما يسمع شيئً يحفظه يردد بشكل عفوي وبنفس الوقت أنت في كل مرة تركب فيها سيارة تسمع مقطوعة مختلفة فحسب القانون الاحتمالي ستتلاقى المقطوعتان مرة كل شهرين على ما أعتقد وهذا الذي حدث فزوجته تعتاد المرور أمام الغرفة التي يجلس بها بحكم عملها بالمنزل ، لكن القسم الثاني هو الذي ممكن أن يخرج عن المألوف فتدابير الله و الأحداث التي تحصل كتبت قبل الخليقة في اللوح المحفوظ فتتناسق الأحداث بشكل مذهل وهذا أحد الأشياء التي تدل على عظمة الخلق فيسر أن تمر زوجته امام الغرفة.

ما الذي يمكن استفادته من هذا الكلام لا شيء سوى بعض الهراء الذي أعتقد به.

كي تخرج من رأسك موضوع المعجزة ومحورية الكون التي تدور حولك.

لا يا عزيزي الكون لا يدور حول أحد كما تعتقد أنت.

كما تحدث لك التياسير والتكرار فإنه يحدث ل ثمانية مليارات من البشر وعشرات المليارات من باقي المخلوقات شاهدي من هذا الهذي هو

"لا تحمل الناس فضلاً انهم يتنفسون

لأن الكون يدور حولك

لا أنت مجرد أحد الأعداد بهذا الكون

أيقن ذلك و افهمه أرجوك فقد أتعبتنا
فوقيتك المقرفة"
(شكرا لحسن أخذك للنصيحة)
عدنا ليوسف......
تغير لون وجهها عندما رأته متجمدا في مكانه سارعت للاتصال بابنه الطبيب عمر فخر العائلة.
هرعت سيارة الإسعاف بعد اتصل بهم ونقلوه بشكل سريع للمشفى وأجريت له الفحوصات بشكل فوري وذلك الطبيب يركض من هنا وتلك الممرضة تهرول من هناك فهو والد مدير المشفى.
وقفة أخرى إذا سمحت
لم تسمح.
تلك مشكلتك سأكمل روايتي على الرغم من عدم سماحك ، نحن زرعت في نفوسنا مساعدة المسؤول والخوف من عقابه وذلك لا يكون له إدراج إلا تحت مسمى النفاق الاجتماعي ثق أنه لن يضرك بشيء ولن ينفعك بشيء لأنه سينسى ما فعلت لأجله فانت عمليا بنظره غير موجود فلا تذلل نفسك لكن بالمقابل لو عاملت العامة بنفس معاملة المسؤول هنا ستكمن استفادتك فستتغير النظرة إليك للأفضل عداالكم الهائل من الأدعية
"إذا تسلمت عملا بشؤون الناس لا
تتعامل بما يرضي الناس بل بما
يرضي الله ومن ثم ضميرك"

مساعدة الناس ستجلب لك رضى الله ورضى الله يعطيك رضى الضمير.

أسف لكثرة قطع الأفكار اعتبر نفسك تشاهد حلقة تلفزيونية مليئة بالإعلانات

أشارت الفحوصات إلى أنه تعرض لجلطة خفيفة في يده اليسرى

بينما كان مستلقيا على سرير ويتأمل كعادته قطع عليه سكونه شاب وسيم أسمر الوجه يحمل ذو عينين دعجاوين تأمل به قليلا

الشاب يتحدث إليه وهو لا يسمع عما يتحدث قد شاهد هاتين العينين من قبل لكن تلافيف دماغه متعبة ثم انتبه مرة أخرى فكان يعرفه بنفسه أنه زميل عمر وجاء يطمئنَّ على أحواله وهل عمل المميع الذي أعطي له عمله

فأجرى بعض الفحوصات وقال له لا تقلق يا عم فأمورك بخير إن شاء الله هو تجاهل كل الكلام وقال له ما اسمك يا بني حسن علامات استهجان واستفسار بدت على وجهه

هل اسمي سبب لك إزعاجاً يا عم وضحكة تجوبها بعض الصفرة علت وجهه

لا لا مشكله في الاسم لكن عينيك وسوادهما واسمك ما أثار فضولي بقي الطبيب الشاب ساكتا ببعض الاستغراب

أراد أن ينطق أشياء لكن احتفظ بها لنفسه

قال له الطبيب الشاب هل هناك شيء يا عم

أردف يوسف لا لا شيء

ذهب عنك البأس يا عم قالها وهو يخرج من الغرفة

.

.

.

.

فراسته لم تخب يوما ، قدرته الخاصة على تحليل الوجوه

والعيون ومعرفة شبهه الوجه لم تخطأ أبدا

الفراسة تظهر في الأعراق الصافية والأصيلة.

.

.

.

.

.

.

.

عاد يوسف العجوز لهدوئه وتأمله.

مر القليل من الوقت حتى عاد ابنه عمر

وبدأ يخبره باقتراب خروجه لاستقرار وضعه الطبي

قاطعه يوسف يسأله عن الشاب الذي جاء إليه يطمئن عنه

قال له اجزم اني قد رأيت عينيه مسبقا لكن لا أذكر أين

قال له عمر لا تشغل بالك بشيء الآن سوى تعافيك بسرعة

..

.

.

.

.

.

.

خرج من المشفى و ركب مع عمر بسيارته البورش

وعادا للمنزل.

استقبلته زوجته التي اغرقت دموعا وضمته بقوة كما أيام

تأجج الحب الشبابي

لم تدرِ ماذا حل بي حين ذهبت وظننت أنك لن تعودَ لماذا

تركتني إياك أن تعيدها مرة أخرى

كل ذلك وهي تتوسد كتفه

ساعدته ابنته التي كانت قد انهارت أيضا بالدخول

لم يدركوا يوما أن ما يهذي به منذ فترة من الممكن أن يتحقق

ويتركهم يوما.

عند جلوسه الأول على سريره بعد عدة أيام التفت يسرة

لموضع صندوقه المقدس فلم يجده فصاح فورا بصوته

الجهوري أين الصندوق كنت أمسك به ذلك آخر ما أذكره هل

فتحه أحد هيا آتوني به بسرعة وصوته يعلو

فأنبه عمر وطلب منه أن يهدأ فهو قد خرج للتو من المشفى

ركضت زوجته وعادت بعد برهة تحمله بين يديها وهو ينظر

إليه كأنما ولده الذي فقده منذ زمن ويراه بعد فراق سنين

ناولته إياه أمرهم أن يخرجوا ويتركوه يرتاح

وضعه جانبا ، واتكأ على يمينه يفكر بذلك الشاب ونام وهو يحارب نسيانه لتذكر صاحب العينين الأصلي.

وغفا على ذلك.

.

.

.

.

كان يجلس خارجا باقي العائلة وهم يتناقشون بوضعه الصحي

قال عمر لست مرتاحا لوضعه فهذه المرة مر الأمر على خير بجلطة خفيفة لكن تحاليله توضح انها ستتكرر.

يجب علينا العناية به بشكل خاص.

لكن قبل ذلك هل أزعجه أحد منكم.

صاحت به أمه لماذا تضع اللوم علينا وما دخلنا نحن

احمرت وجنتاه وقال باقتضاب لا أضع اللوم على أحد لكنني أسأل

فأضافت نعم ما الذي يدرك ما الذي يحدث لولا أن أصابته هذه الحادثة لن تراه قبل شهر

ألا تعرفي مشاغلي ومسؤولياتي

على الهامش

سوف أقطع لك عزيزي القارئ هذه المجادلة الرائعة.

نقاشاتنا........

نحن مبدعون في ذلك.

لأننا دوماً محقّون ، والطرف الآخر مخطئٌ وكاذب.

صوتك سيعلو فورا عند أول المحادثة وستتحول دوما إلى مشكلة.

من البديهي الطرف الآخر هو من بدأ ،نعم نعم لا تضف شيئا أدري أنك على حق.

تكون بداية نقاشنا بشيء وتنتهي بآخر

الغسيل قديم وبعض الأسرار التي ستذكر فجأة وتبدأ المعاتبات والمناوشات.

ويضيع الموضوع الأساسي وهو بالأصل أتفه من أن يناقش لكن هكذا نحن وهكذا تربينا و مهما كانت درجة الثقافة لديك سترجع للعقلية القبلية المتعصبة وتصبح نزعتك العشائرية ظاهرة وتتبجح أنا ابن فلان ونحن عشيرة كذا ومن أين لك الحق أن تتكلم معي هكذا ألا تعرف مقامك ومقامنا.

وطبعا صاحب الصوت الأعلى هو من سيغلب طبعا.

ويحنا ما نفعل هل هذه تعاليم الأديان وهدي النبوة.

فقد كان عليه الصلاة والسلام لا يرفع صوته بجهورية أبدا والهدوء دوما يعلو وجهه والبسمة لا تفارق ثغره والحلم والأناة طبعه فلا يغضب الغضب الكبير إلا إذا تعدى أحد على حدود الله ولكن ليس كما تتصور فصوته لا يرتفع ولسانه لا يسب حاشا لله.

وكذلك أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والصحابة الكرام كلهم اتبعوا هديه ففتحوا الدنيا وأعمروها بالحلم لا بالسطوة والسيف.

نحن لدنيا مشكلة مفصلية تدمر كل أفكارنا ؛
نحن ننتقد ولا نعطي حلا نعرف الخطأ وننكره ولا نغيره
لن تحل اية مشكلة بالسخرية لماذا استهتارنا واستهزاؤنا وإلى متى لا ندري.
نحن بارعون جدا بالتنمر أما إيجاد الحلول ليست لنا.
طبعا لن أنتقد وأكون مثلهم إليك بعض خطوات تتخلص بها من الحدة والانفعالية.
اهدأ ، وحاول الحفاظ عليه ما أمكن ،
ابتسم ، تصرف كأنك أخذت مخدرا وانتشيت ،
خذ نفسا ،
ضع في بالك أن الكأس له قسم ممتَلئ وقسم فارغ ويمكنك ان تراه من عدة جوانب ،
أنت لست متأكداً أنك على حق! .
ضع في بالك وجهة نظر خاطئة.
أنت لست ملاكا.
لا اقول أن تتراجع بسهولة عن رأيك أو تشك فيه ،
الثقة مطلوبة جدا لكن ليس التكبر ،
لا تعرف الفرق بينهما لا بأس ،
هناك شعرة معاوية بين الكبر والثقة.
الكبر أن ترى نفسك أنك افضل من الجميع والناس ذباب امامك.
بجاه اكتسبته أو مال أو علم او سلطة
كلنا من آدم و آدم من تراب ضع ذاك نصب عينيك ،

أما الثقة ،.

لا أحد افضل منك وأنت لست شخصا عاديا لديك قدرات وأفكار كباقي الناس وربما افضل بقليل لكن إياك أن تقطع الشعرة و ترى نفسك بعلو فتتكبر

فما الكبرياء إلا رداء الله من نازعه به أذله.

نعود الآن للنقاش

دع الطرف الآخر ينهي حديثه لآخره ولا تقاطعه.

استمع باهتمام لا باستهزاء.

الآن قد وصلت لثلثي الطريق

كن لينا و لا تتعنت برأيك

كن حليما ،

حافظ على هدوْئَك

تكلم ببطء ،

بهدوء ، بصوت متوسط

لا تجعل نبرتك محتدة

انظر بعيون قبيلك إن كنت وحدك وإن كانوا جماعة وزع نظراتك عليهم ،

لا تنظر للأرض

حافظ على هدوئَك.

ضع في بالك نهاية النقاش لابد أن يكون هناك طرف مقتنع دون أي مشاكل جانبية.

وأضمن بذلك لك نقاشا ذا فائدة.

إن كنت حكما لا تصدق طرفا دون أن تسمع الآخر اسمع

الطرفين دون تحيز مهما كانت درجة القربى خذ وقتك بالتفكير ثم احكم بعدل الله.

"إياك والكبر فإن نازعت الله فيه
أهلكك وأذلك ورد لأرذل العمر"

نعود للنقاش المحتدم....
أعرف أنك مشغول دوما لكن ذلك لا يمنع أن ترى أباك يوميا وتطمئن على حاله ،أضافت أمه!
نظرة بنظرة عميقة بين زوايا الغرفة يؤنب ذاته ثم أدرك حجم بعده وأن والده يمكن أن لا تطول مدة حياته
نفض الفكرة من رأسه فقد خاف منها
وقال بصوت مرتجف أيمكن أن يتركنا فجأة بعينين تائهتين
قالت أمه لا سمح الله يا بني يبعد الشر عنه وغاب لكن نحن الذين لم نحسب حساب هذه اللحظات طنا نظنه يخرف بقوله إني مفارقكم قريبا.
انفضت الجلسة وبقيت ابنة يوسف التي لم تجف لها عين منذ رأت والدها على حالته.
كانت فتاة تكاد تنهي عامها الثامن والعشرين وهي خريجة من كلية الصيدلة جميلة الوجه ، حسنة القوام ، خلوقة ، أنهت حفظ كتاب الله وتدرس السنن.
كانت جالسة تبكي بهدوء وكادت دموعها تحفر إخدودا بوجهها.
لكن هذه الفتاة لم تتزوج بعد.
النصيب لم يأتِ ولم ينفك مَنْ حولها يقولون متى نفرح بك.
يا ابنتي لا تعسري وتنتظري كثيرا فيفوتك القطار.
والكلمات الحمقاء الكثيرة تجلد ذاتها وهي مبتسمة بخجل لا تجد ما ترد به.

مجتمع يرى نفسه وصيا على الناس و يتدخل بكل كبرى وصغرى وينقد الجميع .لِمَ ؛لا أحد يعرف.

ما بالنا نتدخل بكل من هب ودب و نعطيه النصائح وكان الكمال بنا . لو اننا ننظر لعيوبنا ونحتفظ بالنصائح لأنفسنا كان ذلك أفضل للجميع.

فما دخلنا بمن تزوج أو لا ذكرا كان أم أنثى.

فلكل ظروف ولكل شيء توقيت و النصيب يأتي في تاريخه الذي كتبه الله قبل بَدْءِ الخليقة في اللوح.

فلا نستعجل شيئا ولا نستأخر لأنها ليست صلاحيتنا.

ومن قال أن الفتاة لها قطار يفوتها او نحن من نحدد أنها تصلح للزواج أم كبرت.

ما يدرينا إن الله يخبِّئ لها نصيبا خيرا من الدنيا وما فيها.

"خير إسلام المرءِ تركه ما لا يعنيه"

صلىّ عليك الله يا سيدي يا رسول الله

تدخل لغرفة أبيها لتعيطه دواءه يبتسم في وجهها ويقول لها اجلسي يا ابنتي أريد أن أحدثك بموضوع

جلست بخجل

قال لها يا ابنتي كان في آبائي مثل يقول

(اخطب لبنتك قبل ابنك)

نظرت له باستياء وقالت هل أثقل عليكم يا ابتي حتى تريد أن تخطب لي وتتخلص مني ، وتبيعني ، وتعرضني على الناس.

قال لها ليس هذا ما أقصد إني رأيت اليوم في المشفى صديق

عمر شاب متزن ومهذب وخلوق وإني والله اراه لك نعم الزوج لا أريد أن تظلمي من بعدي.

وما الضير في أن يكون نحن من نبتدر فالشاب الخلوق مكسب في هذه الأيام وفوق كل هذا صديق لعمر.

لا باس يا أبي افعل ما تراه مناسبا.

وعندما همت بالقيام قال لها اجلسي أريد أن أسأل عن شيء آخر هل فتح أحد الصندوق ورأى ما فيه.

نظرت للأرض وقالت نعم وهي بتفكير يسترجع الذاكرة وقد فوجئت بمحتواه كنت أظن أني سأجد شيئا من المال أو الحلي أو شيئاً ذا قيمة فلم أجد سوى بعض الصفحات المهترئة.

فقال لها يا ابنتي.... .

تنهَّد وأكمل ما وجدته أغلى عندي من كل ما في الدنيا إنها الذكريات والتي ترين كيف أني أجهد ألا افقدها ولكن المرض له رأي آخر.

ناوليني إياه.

سأخبرك بقصة كل ورقة بعدها احتفظي به فهو أمانتي عندك.

ناولته إياه حضنه ونظر إليه كأنما هو ابنه من صلبه وفتحه مخرجا إحدى الوريقات

نظر إليها باسما ، وهم لقراءَها.

"حروفي هتكت من فرط ما تعبت
وناحت كثر هجراني

بسياط نقدهم طموحي كان قد ارتمى
وكاد ينجدل عقب إدماني
لله درك كم أعطيتني من أمل
و أعدت للنفس حياة بعد خذلان
حروفك كانت للنجاة إكسيراً
أحيت وهباً أعطانيه رحمني
كلماتي لك انسابت من دون وجل
و استفاضت رجو رد عرفان"
وفي الصفحة الثانية كان قد كتب عليها
"زدت حروفي كرما حين قبلتها
وصارت تنتظم دون توان
وحين رأت يديك تتحسسها
سباقت علو السماء وضاهتها بعنان
أغدقت الجميل على فتى منكوب
فأصبح لرده منتظرا بأي زمان
أرجو مرورها على قلبك بخفة
وأن لا تملي و تحملي تحمسي المتراني"
نظرت له وعيناها تدمعان قالت له
الله يا أبي ما أجملها لمن كتبتها لم اقرأها من قبل
لم تكن ضمن اي كتاب او رواية من مجلداتك الستين
قال لها يا بنيتي هناك أشياء ليست ليعرفها الجميع نحتفظ بها
بقلوبنا و عقولنا ونعطيها للقلة أن يقرأها
أرجوك أخبرني ما قصتها.

لا بأس لكن احتفظي بهذه الاسرار لنفسك فإن أمك لا تعرف بها . ولا أريدها أن تعرف

لا لن أخبر أحداا.

كنت قد تعرفت في شبابي على فتاة تدرس معي في الجامعة.

كانت لطيفة جدا وذات وجه بشوش دائم التبسم.

كانت تتصادف محاضراتنا بنفس التوقيت حتى بتنا نخرج وندخل سوية إليها دون أن نشعر فبادرتها مرة بأن أسألها عن بعض الأشياء التي أعرفها مسبقا فقط لأفتح حديثا معها.

ثم تطورت تلك الكلمات البسيطة وبتنا نجلس معاً في المحاضرات.

وشيئا فشيئا تطورت أحاديثنا وطالت.

نظرت في عينيها ذات مرة فوجدت أني قد رأيتها قبلا بالفعل كانت تجلس معنا في نقاش في مقصف الجامعة وكنت أتساءل عن تلك الحسناء الصامتة ولم أرها لمدة حتى عدنا للالتقاء في أروقة القاعات.

كان حديثنا ذات مرة عن تلك الجلسة.

فلاش باك

لديك كم كبير من الثقافة المصحوبة بالثقة وذاك لا يأتي إلا من قراءة شرهة مطولة . فهل أنت كذلك وهذا ما أظنه لست من النوع من الشباب الذين يقضون وقتهم في الحديث عن الفتيات.

ضحك يوسف وقال نعم لي باع طويل في القراءة وإني أعشقها جدا . وأزيدك بيتا من الشعر أنا هاوي في الكتابة

انتفضت بعفوية ونظرت بوجهه مبتسمة حقا ما تكتب شعرا

أم نثرا ، حديثاً أم قديماً سردا أم رجزا

أهدئي قليلا سأخبرك

إنني جربت جميع ما ذكرت وأعتقد إنني نجحت في ذلك كله.

حقا أرجوك ارني بعضها

سأريك بشرط ألا تسخري منها إن لم تعجبك

لا لا أقسم لك

سأريك أول قصيدة كتبتها

أخرج كتيبا صغيرا وفتح أولى الصفحات.

وبدأ يقرأ

"سلام من بشر أ عيته الحياه

سلام لبشر كان العيا فيه

قتل هواه من تزلف إليه

وأذاب القلب إن تعلق فيه

بشر لم يخلق كجنسه

سمائ ي ذاك لاشك فيه

تصدين عنك خير رجلا

ما كان لأحد أن يمعن فيه

ما الخطب قاتلتي أتجهزين على

قلب توقف بعدك النبض فيه

إن الرب يرى ماذا فعلت بكيانه

وبعقله وبفكره أجمل ما فيه

العودة والسلام رجائه

أخمدي نارا إتقدت فيه"

قالت بعين هلالية جميلة لمع السواد فيها الله ما أجملها أهذه حقا من كتابتك

تبسم وقال لها إنها أول ما كتب

بهتت وقالت إن كان ذلك البداية فما المستقبل الذي ينتظرك يوسف أنت حقا مبدع ذاك كان مع تعابير وجه تفطر القلب صامدا أمام الحسن الأخاذ وقال لها غدا سأكتب لك واحدة وبعدها افترقا

وفي اليوم التالي كانت تنظر لباب الدخول بلهفة تتفحص الوجوه

فدخل وانفرجت وذهبت إليه مسرعة

وقالت بلهفة هل كتبت لي كما وعدتني

تبسم وقال وعليكم السلام

ضحكت وتداركت خطأها قالت له لا تؤاخذني نسيت السلام من شوقي للقصيدة

فأخرج ورقة كتب عليها

(القصيدة في الصفحات السابقة

حروفي هتكت) .....

فاسترسلت بالنظر إليها

ثم أجزلت الشكر له ودست الورقة في حقيبتها

باتت الليلة كلها وهي تقرؤها وتفكر بها.

في اليوم التالي

سألها إذا ما أعجبتها

قالت له لم اقرأ أجمل منها
فقال وهو يضحك هدئي من روعك فهي بعض الكلمات المبعثرة لا تستحق هذا المدح كله
فقاطعته لا تقل هكذا إنها في غاية الروعة
أتعرف هذه أول مرة يكتب لي احد شيئا خاصا بي.
فقال لها لا بأس لك كل مدة هدية مثلها.
لكن أريد ان أسألك لما كنت تتحدث بهذا الأسلوب
ألم تعجبك
بلى لكن أثارت استغرابي
صراحة قد قرأت بعض كتاباتي لأحد الأصدقاء وانهال بالسخرية والانتقاد حتى عزمت ألّا أكتب شيء آخر
حتى جئت أنت فلم أجد أصدق من تلك الكلمات.

..

.أحقا يا أبي قد قال أحد على كتاباتك أنها سيئة وكنت لن تكمل بها
من ذلك الأحمق الذي لا تعجبه كتاباتك ؟؟!
نعم نحن معشر البشر إن وجدنا أحد قد بدأ بشيء حملنا كنانتنا وقوسنا وبدأنا برميه بأسهم الانتقاد والسخرية بدل التشجيع فيكره ما هوت نفسه ولا يجرؤ على أن يكمل به.
أليس من واجبنا ان نجبره بكلمة هي لن تنقص منا شيئا لكنها من الممكن أن تصنع رساما أو كاتبا أو مغنيا.
كلمة واحدة تصنع فرقا كبيرا تدفن موهبة خلاقة أو تعلي شأنها.

"قل خيرا أو اصمت"

تناول يوسف ورقة أخرى لا على التعيين.

كتب عليها

"كيف ستكون ال لقيا

كيف إلى وقتها سأحيا

كيف الدقائق ستمر دون ان تدمرني الأشواق

هل يا ترى سأكون بتلك الحماسة المنتظرة

هل سأبهر أكثر بتلك العيون الغزلانية

كم سأصمد يا أمام سوادها وكحلها

وجهها الملائكي سيصعد بي لأي سماء

أقلبها سيكون على العهد المقطوع أم سيتركني أذهب

ماذا عن هالتها المقدسة هل ستحرقن ي

أسأجد تلك اللهفة القلبية ذاتها

هل سأنتشي بعطرها كما العادة

لقد حرقت شوقا وكأنني أهوى منذ الأزل

هل ستقبل حروفي وتفهمني"

يردف يوسف بعد أن طوى الورقة

كانت سمرا قد تغيبت فجأة دون سابق إنذار ولم تكن عادتها فهي لا تضيع أي محاضرة من قبل واستمر غيبها لأكثر من أسبوعين.

على الرغم من صداقتنا المتطورة لم نكن نتوا صل سوى في الجامعة ، لكن قلقي عليها دفعني لمراسلتها للمرة الأولى.

فلم ترد حينها وبعد يومين كان اسمها على جدول إشعاراتي

فشعرت كأنما قلبي بعث من جديد.
فلم أتمالك نفسي وبعثت لها رسالة مطولة أسألها عن حالها وأنها ستغيب لأسبوع آخر بسبب وعكة صحية . لكن رؤية اسمها أنساني كل شيء و ترك قلبي يرتجف بشكل لم أعهده من قبل.
كنت أريد أن أحدثها بذلك لكنني احتفظت به لنفسي.
من المنصف للنفس يا ابنتي أن نحتفظ ببعض ما في القلب لأنفسنا قد لا يكون الوقت المناسب لهذه الكلمات في حينها ولكي لا تضيع لما لا ندونها ونظهرها حين أوانها كي لا تفهم بشكل مغلوط.
لكن ما كتبته لمَ يكن له أوان.
فاحتفظت به على الوجه الآخر للورقة
"بعد أن رأيت اسمك بجدول إشعاراتي
تبسمت ضاحكا منذ زمن لم يتحمل أحاديثي العامة المملة الساخرة فكيف المحادثات الخاصة
لكنك وبكل لطف تجيبين على رسائلي دون تذمر أو محاوله إنهاء للحديث
لا أدري لماذا أعدت لي نظرتي بالمجتمع إنه يمكن وجود أشخاص لطفاء مجاملين حتى لو لم يكونوا بأفضل حالاتهم حتى أقرب أصدقائي كان يتذمر من ذلك لكن بطبيعة الحال والعادة الجميع يريدون الحديث والمتعة في وقتهم الخاص.
بتحررك متزناً أدركت ذواتك إنك تحملين شخصلً عظيماً في داخله أرجو أن تنميه بلطفك

لم أعرفك في السابق البعيد لكنني تأكدتَ ببضع الجلسات أنك صديقه عظيمه

من الواضح أنك تلاطفين الجميع بنفس السوية

أريد أن أخبرك أني أغبطك على ذلك

صديقتي ابقي على لطافتك وحنوك لعلك تعيدين لشخص لا تعرفينه بسمته بعد إحباط وفقدان أمل

و أطلب من الله أن تتحسني بسرعة أكبر لأنني أصبحت أم ل الحضور وحيدا"

أردف لها يوسف هيا ابنتي هذا يكفي اليوم فقد تعبت حقا.

فقامت ووضعت الصندوق جانبا لأول مرة تحس أنها تمسك كنزا ليس مجرد صندوق قديم مزركش بلازورد يحظر على أحد أن يعرف ما داخله.

ذهبت لغرفتها واسترخت على سريرها وهي تداعب شعرها وتفكر بالموضوع الذي طرحه والدها عليها وهل يا ترى ستتخلص من خوفها السابق من الارتباط والزواج فتجربتها مريرة فيه

(تتشكل لدى الإنسان رهبة من أشياء طبيعية في الدنيا بسبب أزمة نفسية مر بها سابقا فكيف إن كانت عاطفية تجعله يرى أن تكررها سيكون معضلة كبرى وشبه مستحيل وخصوصا إن لم يجد أحد يحدثه ما في قلبه وينصحه)

أغرقت عيناها بدموع إثر تذكرها ما كان قد حصل معها وكان له أثر مدمر على نفسيتها

فلاش باك

يدق الباب......

ترتفع على رؤوس أصابعها لتنظر من عين الباب الساحرة!

رأت أحد أقربائها.

ابتسمت وفتحت الباب أهلا سامر بادرته.

دخل هو وأردفه شخص لم تكن رأته من عين الباب

وقفت مبهوتة متفاجئة وتعلو رأسها عشرات علامات الاستفهام من الذي دخل بهذه الجرأة وكأنما يعرفها من سنين

زادت تلك العلامات عندما حياها باسمها لكن ذلك الوجه مألوف بالذاكرة الطويلة لم تستطع أن تتذكر

أهلا تفضلوا قالتها بتلعثم جلسوا جميعا على أريكتين متجاورت ين

كسر سامر الصمت المبهم بأن قال لها ألم تتعرفي علي قريبك

لا قالتها باستهجان

رد عليها سامر علي ابن عمك جمال

استجمعت ذاكرتها لتطابقه مع اسمه فخيل إليها شكل الفتى الذي لم يبرح يداعبها ويلعب معها عندما يجتمع الجميع في بيت الجد لكن أحقا هذا الشاب نفسه من كان هناك

نعم هي لم تعرفه فقد غاب حوالي سبع السنين

ما الذي جاء به ومتى رجع حتى أسئلة كثيرة أخرى بقيت تجول في رأسها

كسرتها بابتسامة

ورحبت به

قالت له لا تؤاخذني إني لم أعرفك

قال علي وهو يبتسم لا باس حتى انا لم أكد أعرفك فغيابي كان طويلا بعض الشيء

متى رجعت يا علي الحمد لله على سلامتك

منذ ثلاثة أيام فقلت من الواجب ان أطمأن على عمي و عائلته فقد اشتقت للجميع كثيراً أليس هنا

بلى سيخرج بعد قليل

بعد أن غادرا ، دار الحديث عن نظراته الغريبة المتفحصة لها وانطوى على انه من الممكن استغرابه لأنه قد كبرت وتغيرت عليه ربما

نسيت الموضوع بشكله العام ؛

حتى ذكره فيه عودته المفاجئة بعد عدة أيام

جاء لزيارتهم مرة أخرى او بالأحرى لرؤيتها.

وباتت زياراته روتينية في كل أسبوع باختلاف الحجة مرة صلة رحم ومرة ليدعوهم على وليمه ومرة ليرى إخوتها.

أثار الحفيظة لدى العائلة لكن لم يتكلموا بشيء.

حتى جاء إحدى المرات لتفتح له الباب نظر فيها نظرة المستغرق

طلب منها رقمها كي يراسلها بحجة أنه يريد أن يسألها عن بعض الأشياء الخاصة

لم يكن لديها خيار سوى الخجل فأعطته إياه

بات يراسلها صبحا ومساء ليلقي التحية.

تطورت التحية لبعض الأحاديث القصيرة ومع الزمن كبرت تلك الأحاديث.

بات يكلمها عن سفره وحياته في الخارج وعن الأماكن التي زارها.

وهي كانت متحمسة لتلك الأحاديث ويسحرها وصفه لها فكان حلمها كباقي من في عمرها السفر والسياحة.

بدأت أولى كلماته الملغومة ؛

علنا نذهب يوما إليها سوية.

عندما استفسرت عن قصده.

لا شيء مجرد كلمة عابرة أجابها.

ومع الأيام طلب لقاءَها بعد أن تنهي محاضراتها ، كانت في سنتها الأولى وحماس المراهقة يستشري فيها وبعد عدة لقاءات ، دون علم أهلها جاءت كلمته الحاسمة التي تنتظرها منذ زمن ،

(فقد ربي جيلها على تلفزة تصور الحب والعشق كأنه الغاية الوحيدة في الدنيا التي تستحق الحياة من أجلها بأسلوب خبيث ،يحاولون اجتثاث الق يم من جذورها بشكل تدريجي فالمراهق في هذه المرحلة يجد ما هو غريب في غاية الروعة و يكثر من الانبهار فيه.

بسبب التسويق الإعلامي للمثلين وجعلهم قدوة للشباب فيتصنعون حركاتهم وكلماتهم وتصرفاتهم وأشكالهم وتسريحات شعرهم ولباسهم هكذا زرعوا في عقولهم أنهم أناس في غاية المثالية وإن أصبحت مثلهم وقلدتهم فقد ملكت الدنيا.

أقزام المجتمع لا تستطيع أن تسميهم غير ذلك.

ماذا قدموا للمجتمع في الواقع سوى العهر المنمق والعادات الغربية البالية التي تدخل معهم بشكل غير مباشر نعم تلك الأقزام وأشباههم دمروا جيلا كاملا وجعلوه يعيش في وهم كبير.

لم أجد مسلسلا يصف حياة فقير أو قصة حبه لجارته من الطبقة نفسها وكيف دفنت لعجزه عن كل شيء في هذه الحياة لأن كل فرص العمل ليست له والدراسة والتعليم ليست له والصحة ليست له

هي حكرٌ على الأغنياء ومن والاهم فلا تصور مسلسلاتهم كيف تهدم الأحياء التي يسمونها عشوائية التي لها سقوف من ورق تأوي العشرات ولم تصور كيف يقفون بطوابير الخبز والغاز

لم يصوروا أن أحدهم باع حذاءَه ليكمل ثمن مونته.

لم يصوروا كيف يذهب الطفل من مدرسته لورشة أو عمل على الرصيف يتعرض فيه لكل أنواع الذل والتحرش ليكمل تعليمه المجاني الفاشل ويسند أهله بقوت يوم.

لم يصوروا من بات جائعا وهو ينتظر عل أحد جيرانه يحنو عليه بصحن زائد من الطعام لأنه لم يوفق برزق يومه.

لم يصوروا مدرسا جامعيا يعمل بمكانين حتى وقت متأخر كي يركب سيارة أجرة ويلبس هنداماً مقبولا أمام طلابه.

صوروا فقط ما يردون حياة فارهة سيارات جميلة وقصص عشق غاية الروعة في المرابع الليلية ومسؤولين كباراً ومدراء ووزراء وأمناً وأماناً وحيرتهم في المطعم أي نوع

من الطعام يطلبون.
للأسف مشاكلهم عظيمة تحزن عليهم وتعيش الدور.
إنك تشتهي أن تعيش في هذه البلد التي يصورونها لنا) .
إنني معجب بشخيصتك تلك الكلمة قد رفعتها لأعالي السماء أولى كلمات الغزل المباشرة التي تسمعها.
باتت ليلتها وهي تفكر في كلامه.
صارت رسائله بالنسب مصدر السعادة الوحيد أو هكذا صور لها الحياة
وجوده هو أمل الحياة وهدفها رسم كل ذلك بمخيلتها
هو التجربة الأولى لها صور الحياة جحيما من دونه
فمشاعرها البريئة تفتحت على سيرته.
قام بخطبتها من أهلها كان الرفض القاطع جوابا فما زالت صغيرة ولن تتزوج قبل أن تأخذ شهادتها.
رؤية الأهل هي النظرة الصحيحة فعمق الأشياء يرونها بوضوح.
لكن مشاعر المراهقة طغت عليها و تمردت على أهلها وأضربَت عن الطعام فكيف سيحولون بينها وبين سعادة مستقبلها.
عدة محاولات ونجح الضغط.
قُرِئتَ فاتحتها عليه الامر أصبح شبه رسمي بينهم.
ملكت الدنيا في نظرها فحلمها الوردي تحقق.
الأنياب عند الضحك تبدو جميلة ولكنك ستدرك واقعها إن رأيتها في الغضب والتعنت.

شيئا فشيئا صار يطبق على حياتها ويضيق المجال حولها
وهي ترى أنه محق فهو يحبها ولن يفعل ما يضرها
بدأ بمنعها من الخروج مع أحد حتى لو برفقة أهلها هو يغار عليها حجته كانت.
حتى جامعتها منعها من الذهاب إليها مع تطور الوقت حتى إخوتها صار يغار عليها منها.
بدأت بالامتعاض وعند كل مناقشة يهددها برحيله
(الحب ليس سادية وليس تضيقا وخنقا للطرف الآخر الحب تدنس قدسيته بهذه الطريقة.
الغيرة شيئ والشك شيئ وبينهما شعرة معاوية.
فمجمل العلاقات يتخللها الشك ، فأنت تشك بالطرف الآخر هل تعلم لماذا لأنك تفعل الأشياء ذاتها التي تخاف منها ، فعندما تخاف من محادثته مع شخص غيرك فبسبب كثرة أحادي ثك وإن أكثرت التدقيق على اللباس فبسبب نظراتك الثعلبية ، فالغيرة ليست بهذا الشكل أبدا ، لا يشم ريح الجنة ديوث هكذا أخبرنا المصطفى صلى الله عليه وسلم .فليس أن تترك الحبل طريا ولا تشدده . فاحذر الخلط بين الشيئين.
أما في الضفة المقابلة فليس أن تفتشي جواله وتستشاطي غضبا لكلمة أو تعليق عابر الثقة مطلوبة وأساسية لكن بحذر)
وعند نهاية المطاف والقشة التي قصمت ظهر البعير عندما حقق حلمها وجلب خاتمي الزواج بعد جهد جهيد رمى بهما وكأن به يعاقبها.
باتت ليلتها غارقة بدموعها وأدركت حجم خطئها.

كما العادة في أي مشكلة تنهال رسائله كالسهام ويضع اللوم عليها ولكن هذه المرة كان الوضع مختلفاً لم ترد على رسائله فاستشاط غضبا وتضاعفت الرسائل والتهديدات والتعنيف وهي لا تبالي ولا ترد ثم تحول التهديد والوعيد لرجاء واستعطاف.

مر يوم ثم أسبوع وهو يرسل دون تواني وهي تتجاهله أرسل أهله ليستفهم الموضوع فبهتهم جوابها.

أخرجته من حياتي ولا اريد أن أسمع باسمه مرة أخرى.

حتى والداها صدموا بعض الشيء لكن كانت صدمة متوقعة فذلك ما كان سيحصل في نهاية المطاف.

مرض على الفراق........

(نحن بني البشر نتعنت ونتجبر وكأن بنا نحن من نملك الدنيا ونحن من نسيرها و نظن أنها دوما طوع أمرنا.

وإن أحبنا شخص وتعلق بنا حسبناه أحد ممتلكاتنا الخاصة نفعل ما نشاء وقت نشاء نجرحه نكسره لا نبالي بمشاعره هو يتحمل لأنه يظن أننا سنتغير بسبب الحب.

هذه إحدى الأشياء الانعكاسية النفسية التي تحصل معنا..

كلما ازداد الظلم من المقابل زاد التعلق به حتى يصل السيل الزبا فتنمحي كل المشاعر مهما عظمت.

التعلق يمكن أن يدمر إنسانا.

لكن الدمار الشامل يبني إنسانا جبارا لا ينكسر)

مشكلته هذه ؛جاوبتهم.

خرجت من مجلسهم وهي تشعر بنشوة النصر تغلبت على

مشاعرها ومخاوفها.

اتهموها بعرضها وبعشقها لآخر.

اندثرت أحاديثهم مع الزمن.

أكملت دراستها بعزم جديد ووضعت لثاماً على قلبها كي لا تضعف مجددا.

ضل يحاول كل فترة ليعود إليها ولكن من تطبع بشيء لا يمكن أن يغيره الزمن ، ليس مجملا لكن غالبا.

.

.

.

.

فكرت بموضوع الشاب الذي طرحه والدها وغفيت وهي تفكر.

حيت أباها تحية الصباح و ناولته الدواء ، تبسم في وجهها وينظر إليه وكأنه يراها للمرة الأخيرة.

قطعت هدوء الجلسة وقالت بحماس أنا متشوقة جدا لتخبرني باقي قصص أوراقك صندوقك المقدس يا أبي.

قال لها وهو يبتسم لك ذلك لكن على شرط هذه القصص لا يعرف بها أحد غير وغ يرك حتى أمك لا تعرف بها هل أنت حمل السر؟

لا تخشَ شيء يا أبتي

ناولته صندوقه وكعادته ضمه وقبله وفتحه ، أخرج ورقة منه وصار يتلو عليها ما كتب فيها....

"منذ رنين هاتفي باسمك

إهتز وغنى وكأنه يريد أن يطير فرحا
لأن شاشته أظهرت فخامة اسمك
وصاحبه المسكين تلقى دفعه مورفين من قلبه بعد رؤية
اسمك أيضا فكادت أن تودي به
استمر ارتعاد فرائصه شوقا لسماع صوتك
وحين سمع اسمك في المرة الثانية لم يكن صوتا بشريا
أكان حسونا أم بلبلا لا أدري ما كان ؟
وهل تعلمي أنني حين التقيتك تزاد نبضات قلبي حتى يكاد
يتفتق!
أتظنين بسمتك بالشيء السهل وقعه على البشري العادي
لكنها تهدِّئُ الروح تمسها كما تمس الملائكة الأطفال الصغار
لتهدئهم
لهجتك كانت طربا
حسدت شيئين اليوم صديقتك لأنها عرفتك قبلي بعمر مديد
وتراك كلما ارادت
وفنجان القهوة الذي كان يقفز بين يديك فرحا لأنك داعبته
وأوصلته لشفتيك
بالكاد استطعت العوم بعد الغرق بذلك البحر العميق الذي
اشتد سواده في عينيك
والتفاصيل الفاتنة التي لا تقاوم
أما حديثك على الرغم من قسوته على روحك واختيارك
الصعب
إلا أ نه شق قلبي لأني استطيع سماع احد الحور على

الارض
أعرف اني اكثرت الكلام لأني كنت متوترا وحتى انت كنت كذلك لا اعرف لماذا
لكن أحسست بارتعاش يديك
لا ادري ما المدة التي جلستها لكنها في خاطري لم تتجاوز الثواني
أحببت إنصاتك لحديثي فلذلك كان يجر بعضه بعضا
كدت أموت غيظاً عندما أخبرتني أنني ربما لن أراك مجددا
وأنا التواق لرؤيتك
أما فتى الورد الذي خفت ان يبيعك خطأ
وانفرجت اساريرك بكلماته الصادقة فكل من يراك يحتم أنك أفضل من ستكونين شريكه ولكن الظروف، .اعتقد الان بان قصدي
للآن لا أصدق حلمي اليوتيوبي أني جالست أحد الملائكة"
ما أجمل تعابيرها يا أبي ، تمنيت نفسي مكانها وأن يقول لي احد كهذه الكلمات.
ستجدين من يقولها لك يوما من الممكن ليس بهذه الطريقة وليست بنظم الكلمات ، ممكن أن يقولها لك بنظرة او بابتسامة أو حتى من الممكن بكوب قهوة يقدمه لك.
ما قصة هذه الرسالة هل كانت لصديقتك أيضا
أجل كانت لها ، بعد أن طال غيابها وفيما أجولُ في فناء الجامعة فوجئت بنغمة رنينها التي كنت قد خصصته لها مسبقا ،

كانت قد عاودت دوامها واتصلت بي كي نذهب للمحاضرة.
بقيت عدة ثواني وأنا في حالة استجداء لكلماتها و مسحور بسماع صوتها.
فالنفس الإنسانية ترى كل ما هو من قبل من نعجب به ونحبه شيء مخالف للعادة وأجمل بآلاف المرات حتى لو كان شيئاً بنظر الآخرين غير مهم.
تناول ورقة أخرى من الأوراق التي شارفت على الانتهاء
"منذ أولى أنفاسي اليوم في المدينة......
أحسست برائحه فردوسية وجو من عدن
كل شيء متغير للأجمل
لا أدرِ أهي كما هي أم هي في مخيلتي أجمل مما كانت عليه هي
حتى وجوه الناس كانت أمرح
لم أدرِ ما الذي قلب موازين الشؤم المعهودة
حتى فنجان القهوة كان ألذ اليوم كأنه يخبرني بما يأتي
لم أفهم أي شيء حتى دخل شعاع نور ي
أضاء العتمة و الآفاق وجعل كل شيء يفسر
كل ذلك التغير لأن جلق تنفست من عطر أنفاسك
فأزهر الهواء
كانت أكبر الصدمات التي مررت بها
لم أعتد على وقوف الملائكة في جواري الذين يتشكلون على شكل حور عين
كل ذلك أفقدني صوابي حتى نسيت اسمك

لحظات كانت خاطفة مجنونه لم أدرِ كيف دامت ومضت بسرعة حتى أنهى لم تبق النهار المخبول على حاله بل زادته جنونا"

أردف يوسف كانت قد ذهبت بعطلة قصير خارج المدينة لقضاء بعض الحوائج.

وأحسست بقدومها فكتبت لها ذلك.

كل هذا.....

ما نوع علاقتكم كانت يا أبي قالت له

كنا أصدقاء نظريا لكن بالوقع كنت قد بدأ إعجابي بها يزيد وقلبي يخفق بوتيرة تتزايد.

تقول له الله الله يا أبا عمر كنت من رجال العشق والحب.

رد عليها بضحكة بسيطة ، يا ابنتي كل نفس تهوى في العمر بعدة مراحل.

هوى الحزاورة وهو انقى الحب وأعذبه وأبرؤه هو الذي يكون طفوليا بعيدا عن الغريزة وينتهي عندما،

ي بدأ حب المراهقة المجبول على الغريزة وتكون به حب الأجساد ويغر المنظر بشكل أساسي وتبدأ المشاعر بالتفتح الأعمى وتكون تملكية ، ويجوبها حب السيطرة وينتج عن غالبه زواج فاشل فما زال الطرفين في الطفولة ولم يرى أي منها شيئاً من هذه الدنيا فما يبرح أحدها أن ينفتح للعالم ويرى أشياء أخرى وأشخاصاً آخرين ، ثم يأتي حب العشرينيات الذي يكون الوعي لبانته الأولى والبحث عن السلام النفسي رأس هرمه والزواج يراه الطرفان وسيلة ليس

غاية فليس هو محور الكون ، وليس الجنس ، ما تطمح إليه جبائل الأحلام ، كل شخص يعرف ما له وما عليه وتكون فكرة الملكية والتملك معدومة ، والتعامل والتفاهم أكبر ، ويسعى الطرفان للتناسب في الأعمار والتقارب ، وألّا يكون الفرق كبيراً.

هذا الحب الواعي هو الذي يدوم بغالبه.

سمعنا الكثير عن فشل العلاقات فسببه المرحلة وفرق العمر والتقديس وعدم التكافؤ وغض البصر عن الصفات العظمى للشريك بأمل التغير على المدى لكن كما قلت الطبائع لا تتغير . فلا نسب الحب لجهل من يتخذون تحت اسمه ملعبا ويجعلونه هزوا.

شوهوا الحب حيث جعلوا علاقاتهم المحرمة تحته.

(نلوم الذكور غالبا لا ندري لماذا ، ونحن ندرك غاية الإدراك أن الإناث لها الشبائك الكبرى وهي التي تفتن وهي من تدعو لتلك العلاقات.

تعرف أن من في الضفة الأخرى ليس من نوع الطامح لأن يتزوج ، أو بعمر وتكاليف تسمح له بذلك فتغر يه غاية الإغراء وترمي له الحبل ، وتدعه يأخذ المجال الواسع وفي النهاية تتهمه بهتك العرض.

لا عزيزتي أنت من فعلت ذلك بملْء إرادتك ورغبتك بذاك كانت جامحة فلا أحد يجرؤ من الذكور على هذه الخطوة وأنت لا تريدين ، بل قولي جعلت من شرفي لهوا ولعبا وبإرادتي كان ذلك لكن أنا ضلع قاصر فتحملوا خطئي.

هي تنادي صباحا أن جسدها ملكها ولها حرية التصرف به وقد داس المجتمع الشرقي كرامتها وحريتها ،و مساء تتهم الذكور أنهم يعبثون بالأعراض ، وتطالب المجتمع أم يحميها من ذئاب البشر . انظري إلي قليلا أنت ما الذي تريدينه ؟!!!!
أما انت يا كتلة الخباثة والبلاهة نعم نعم كل لديه خباثة على قدره وبلاهة ، كذاك الأمر.
تلهث عندما ترى جسدا مفصلا بملبسه ،ويسيل لعابك إذا رأيت قسما منه متعريا.
فتغيب عقلك وتكون فريسة سهلة" نعم فريسة لسنا دائما مفترسين"
وكأن الله لم يبعث بدين أو نبي ولا قرآن حتى.
تنسى أن الحياة كعجلة ستنقلب يوما عليك دون شك.
تبيع مبادئك ودينك لنشوة سبع ثواني وتترك وراءك عالة على المجتمع لا ذنب له إلا أنك غلبت عليك نزوتك الحيوانية في وقت أمس حاجة فيه تكن لعقلك) .

.

.

.

.

أخذ ورقة أخرى قد مزق سفلها
كتب فيها
"وهل تظنين أن عيدي كأعيادهم ؟!
عيدي أقبلت بشراه بأولى محادثاتنا

نَفختِ الروح بجسدي المنهك
فانبت من بنانه مجددا
كنت على أتم دراية بأن الله لن يذرني طويلا
أشعلت مهجتي من جديد
باتقاد نار خافقك
أتظنين أن عيدي كأعيادهم
أنت دعوة السر والعلن
أنت الرضا والبر
أ يخلق في طريقنا إلا من يقومنا
ويجمع شتاتنا و يوقظ هباتنا
أريد الآن أن أكون بلا ماض
بحاضرك و آتينا
لكن عيدي للآن ما اكتمل
إني لا أحب الفرادى
اجعليه شفع اا اليوم بقبولك
إني لا اوجل من إبداء إعجابي بك
أرى أن ترصي أحجارك معي لنكون سندا للآتي
و نرصف الطريق سعدا
ونخوض لذه الحياه عمرا
لنكمل بعضنا حتى التمام
أظن موقنا أنك ضالتي الهائمة منذ الأزل
والآن لنعرج للجهة المقابلة
يفوح منها رحيق عطرك

وشهد حسنك سائلا فيها
لا تظني بي إلا ما تشتهك
سأكون لك كما محمد لخديجه
ما اعتدت أن أكون لاهيا نزوانيا ا
ما أظن من الفطنة تضيعنا الفرصة المسيرة
وبعد هذا كله إني تواقٌ لرد ظمئي من نور وجهك
ع ل اللقاء والرؤيا تكون قريبه
وأخيراً أن تقبلي عيديتي هذي
ولا أرجع محسور الفؤاد مكسور الجناح
وما تلك شيمتك
أعيدها مرةً أخرى
لا أحب الوتر اجعلي عيدي شفعا بقبولك"
تلك أولى اعترافات قلبي لها لم أصبر اكثر من ذلك
وما كانت إجابتها يا أبي
لم تجب لا إنكارا ولا استحساناً لكن نظرة العيون تفضح يا بنيتي.
فأردفتها برسالة أخرى بعد قطيعتها خجلا واستغرابا لي لعدة أيام
"ما بال حورائي أحوالها انقلبت
وباتت تقسو على قلبي بكبراني
دعجاء كحيلة تشق اللب يحق
لها صدي إن شاءت دون تواني
أيملك مفاتيح فؤادي غيرها

ونظرتها تحركني كطفل بإتقاني
تربعت على عرش الخافق و استبدت به
وتملكت كأنها تحكمه منذ أزماني
و أخذت فكري تلهو به و تقلبه حولها
ولا تعده إلا مرهقا بعد هجراني
يا بنت جبار البطاح ماذا فعلت
أبقلبي تلعبين وهو كبير الشان
من سهام لحظك بات مجندلا
بعد العنوت والكبر والبطران
يشرب الموت من كأسك بلذة و هناءة
لا يشكو من الهوى خوف عصياني
كوني له كما أراد بحلمه
يقطعك فوق القلب عينانِ"
فردت لي
"صديقي يوسف ؛ لا تفهم تأخر ردي عليك تكبرا أو غضبا
لكن صراحتك فاجأتني فلم أدرِ ما هو الرد المناسب ،
وللآن لا أدري ما هو لكن أرسل لك هذه الرسالة لكي لا
تظن أني معرضة عنك ولأطلب منك أن تؤجل الموضوع
قليلا" .
أما هذه الورقة يا ابنتي كانت اولى الرسائل التي أعطيها إليها
بيدها كهدية لأنني لم أجد رفضا بل وجدت نظرات ترحيب
كلاما بنبرته ارتياحاً أكبر ورغبة متضخمة في التواصل
وكانت تحمل هذه العبارات

"يا من اشتريت خاطرنا بشق حرف
أبشر بحب تجاوز حدود وجداني
و سنكفيهم من الحياة مشقتها قسما
ما وفيناك به نظرة يا أحور العينينِ
بحق عينيك ومن سكنها ومن حرسها
إنك فطرت القلب وأسكنته فسيح جنان
لك لحظ إن تمكن بقلب بشر أسره
وأصعده سابع السما وخرق به كل عناني
على غر برهة باليأس أعتصر من ضيئه
حنينا كقوم نوح يغرقه بالهوى طوفاني
كلما استجديت براً عله يعصمني أزداد غرقا
وما يخرجني منه إلا صوت ملاكك الرنان
ويرميني على جبل كل من عليه مجندل
قتله جفن أكحل ودمر له كل بنياني
حور الجنان تثور وتطلب من الرب سابقه
كحوريه الأرض تكون سمراء وكدعج عينيها
والزعفران يستشفع محمدا ويطلب ريحك
والكوثر والسلسبيل عليك بجسارة يقتتلان
بالبعد رأيت إثنين يصيحان بملء الصدى
لو رأيناها ماكنا لعبلى وليلى عشيقين
ولكانت حروف وصفها على الحجر نقشت
ولجفت الدواة بعدها والصحف غدت طيان
ارحمي بالهوى فتى يا بنت جبار البطاح

تيم بحبك و انكوى لوعه ودمر له كل كيان"
هل رأيت يا ابنتي نظرة لطفل بعد أن تعطيه قطعة حلوى
نعم ينظر إليها ويفرح بها كثيرا وكأنما أعطيته كنزا
فكيف إن أعطيته كيسا كاملا ، هذا شعورها كان كذلك

فلاش باك

ضمتها قبلتها طارت وهي جالسة ضحكتها ملأت الدنيا
سعادتها غمرت الرحاب ، كل ذلك من الرسالة المكتوبة بخط
غير مفهوم ،
فقط لأنها كانت هدية مني.
قالت لي هل تعلم حجم الهدايا التي تصلني بكل مناسبة
وكلفتها.
كلها لا تساوي عندي جناح بعوضة مقابل هذه الورقة إنها
أغلى وأعز مما قد وصلني من قبل.
قبلتها ووضعتها وبقيت تتمايز بها حتى نهاية الجلسة.
قلت لها هل سيغير ذلك قلبك يا سمرا
قالت يوسف انت شخص عظيم جدا ولك معزة كبيرة لدي
وصراحة لا أريد أن أظلمك معي
ضحك وضحك
ثم قال هذه سابقة نحن من نقول ذلك عادة لكن بما ستظلمينني
أرجو أن تعفيني من الإجابة
لكن إن أهديتني أخرى قد أغير رأيي قالتها وهي تضحك ؛
هو لم يكن يأخذ الموضوع بشكل مستهتر بل اجتهد لواحدة
جديدة.

سهر الليل ليكتبها فقلبه تعلق بها جدا ويردها له مهما كلف الأمر

"ما كنت أدري أن الخمر تطول ثمالته
و لا تصحو إلا مرغما بعد دهران
ثملت ليس كأصحاب الكؤوس والقنا
كانت سكرتي من ريح زهرك الحاني
وصلت نشوة القلب والروح عندما
مزج الريقان بالشفاه يلتقيان
شهد ما ذقت أصفى منه ولا
كان بلذته لا عسل ولا سلوان
عناق الروح أحسست به
بعد أن ذاب والتحم الجسدان
توحدت القلوب و خفقت
دماء العشق بنفس شريان
وغمرت عنان السماء بحلمها
وجابت بالهوى سبعة أكوان"

صباحا قبل أن يحيِّيها ناولها الورقة وقل لها يجب أن تقبلي بعرضي فأنا نيتي خير وأريد موافقتك حتى أرتب الأمور على أساسها ،

تركته دون أي كلمات فقط نظرت له ورأت في عينيه شوقا وحبا لم تره من قبل.

نظر إليها وأطال ذلك وهو ينتظر الرد انقطع الاتصال بينهما فباتت تمر بجنبه وكأنها لا تعرفه وقلبه يتلوع لا يعرف ما الذ

حل لها.

فحاول مراسلتها فكتب لها قصيدة أخرى ع ل قلبها يحن إليه

"بت و الفؤاد يلتهب منكويا
وجسمي ما عاد بعدك مستويا
والنفس تحشرج كل برهة من صدري
وارغمها العود مسليا لها أمل اللقيا
والفكر في العقل وحيدا منزويا
لا الصاحب يؤنس وحدته ولا أهليا
ماذا فعلت بالفراق من بعدي
هل يمر النوم عليك قد اطال هجريا
والعين تنزف الذكرى بعد أن جف دمعيا
والمأقي من كثر الآنين أصبحت ربعا خاليا
السقم ينهش جسدي دونما خجل
يعاقبني على البعد كأنما هو خياريا
عودي أمام عيني برهة
حتى لو طيفا يملأ خياليا"

لم تجبه وذهب قلبه وعقله بعيدا عن الناس ، فترة واعتزل الدنيا ؛

'

لكن مهما حزنا سنرجع لحياتنا ومهما قلبنا كان متعلقا بأحد سيعتاد على الهجران و سيقسو القلب ويعتبر من الدروس والصفعات . فلا أحد في الدنيا اغلى من أنفسنا"

وبذلك كانت قد انتهت أوراقه....

قال لها يا بنيتي تلك أسرار صندوقي المقدس الذي طالما كان الجميع يريد معرفة ما فيه.

قالت وهي تنظر بحرقة إليه ما الذي حصل يا أبي لها بعد ذلك

انقطعت عن الجامعة لمدة طويلة ، سألت إحدى صديقاتها عنها فأخبرتني أنها في مصح لمعالجة مرض انتقل إليها من أخد زبائنها كانت تتبع للأسف هواه وتبيعه وعندما تعرفت عليها كانت قد فات الأوان ولم ترد جري في طريقها.

تعافت بعدها وأنعم الله عليها بالتوبة وتزوجت هل تعلمين من هي يا ابنتي...... .

أم حسن الشاب الذي أريد ان أفتح موضوع الخطبة معه فأنا على ثقة بما ربت سمرا يا ابنتي على الرغم مما كانت عليه فمعدنها أصيل وستحفظك بكل عناية إن عرفتك..

احمرت خجلا

ذهبت لغرفتها وهي تفكر بالأوراق وبنهايتها وبحسن وبأمه.

.

.

.

.

.

دعا يوسف حسن وفاتحه بالموضوع وأبدى رغبته بذلك أنه يريدَ أن يخطبها ولكن كان خجلا من صديقه عمر وفرح بهذه

المبادرة وانفرجت أساريره.

وهي كانت مرتاحة جدا لذلك الشاب.

وبدأوا يتكلمون ويتناقشون ببعض الأمور.

سألها عن رأيها بالعلاقات السابقة

أجابته الإنسان تجارب ويتعلم منها ليبني حياته بشكل صحيح

سألته عن الحب وإن كان يجد له تعريفا

الحب هو شعور ينقلنا من أرض الواقع لأرض الفردوس

وهو نغزات لذيذة بالقلب جميلة الأثر ورجفان القلب عند ذكر المحبوب ورؤيته هو الشيء المقدس الذي يجب علينا ان نحافظ عليه ونصونه من كل شائبة له الكثير الكثير من المعاني.

ما رأيك بالصداقة بين الجنسين وهل تتحول لحب

الصداقة ملح الحياة ويمكن أن تتحول للحب أو حتما ستتحول إن كان تآلف روحي بينهما

وهناك منطقة بينهما تكون بسبب تعنت أحد الطرفين وهي منطقة الوصول واللاوصول.

يتبع.....

إهداء ......

تمت بعون الله وتوفيقه.